أخبار اليوم
قطاع الثقافة
شرق وغرب

** معرفتي **
www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

خولن

ميلاس

لاورا

و

خوليو

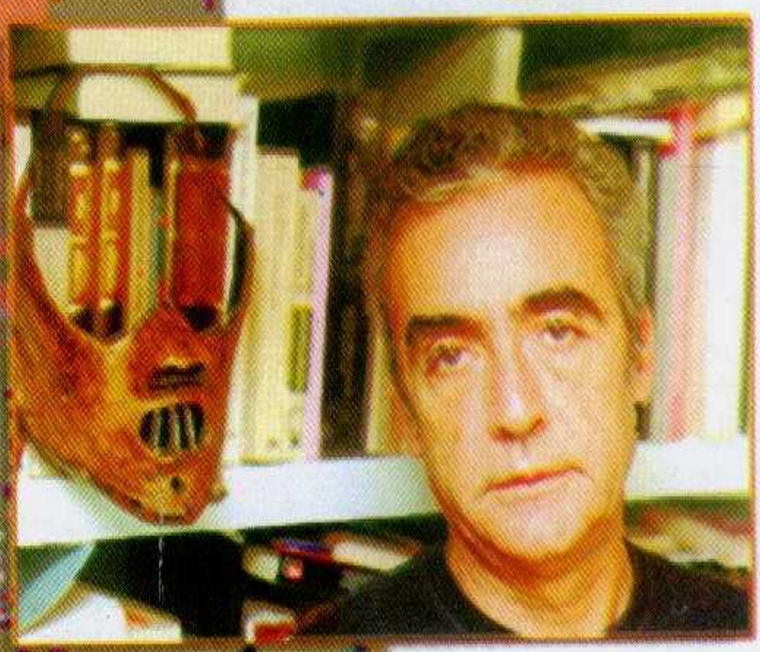

ترجمة
أحمد عبد اللطيف

شرقيات وغرب
قطاع الثقافة والكتب والمكتبات

رئيس مجلس الإدارة :

محمد عهدى فضلى

رواية

لاورا وخوليو

خوان خوسيه ميلاس

ترجمة: أحمد عبداللطيف

تصميم الغلاف
إسلام الشيخ

بطاقة فهرسة

مياس، خوان .
لاورا وخوليو / خوان مياس ؛
ترجمة أحمد عبد اللطيف . - القاهرة - قطاع
الثقافة ، (٢٠٠٧)
١٤٤ ص ؛ ٢٠ سم .
تدمك . ١٢٩٠ ٠٨ ٩٧٧
١ - القصص الإنجليزية ٨٢٣
أ - عبد اللطيف ، أحمد (مترجم)
ب - العنوان

مقدمة المترجم

يعد خوان خوسيه مياس، فى نظر العامة والنقاد، أحد أبرز الكتاب الأسبان المعاصرين، سواء فى كتابة الرواية أو القصة القصيرة أو حتى المقال الصحفى. وذلك يرجع، بلا شك، إلى العمق الذى يتميز به والخلط بين المشاعر والفلسفة وبين الواقع والخيال، والنظرة المنطقية للأشياء، حيث البدء بمقدمات تفضى إلى نتائج تبدو بالنظرة المجردة غير مقبولة، وبالنظرة العميقة هى حقيقة الحقائق. فنجد فى كتاباته الصحفية نوعا جديدا من الأدب لم يعرفه العالم قبل مياس، وهو ما أطلق عليه " المقال الأقصوصة "، وهو، كما يشير اسمه، قصة قصيرة تأخذ شكل المقال الصحفى، أو مقال صحفى يأخذ شكل القصة القصيرة. وقد كتب من هذا النوع مئات المقالات التى جمع كثيرا منها فى كتاب حمل نفس الإسم. ولا شك أن كاتبا مميزا بدرجة مياس، له خيال شديد الخصوبة، لابد أنه يرى الأشياء بوجهة نظر مختلفة، ربما أكثر دقة، ربما اكثر منطقية، وأحيانا ربما أكثر غرابة. فعندما بدأت، على سبيل المثال، الحرب الإسرائيلية على لبنان، فى ٢٠٠٦، كتب مقالا غاية فى الحزن والألم، لكنه لم يكتب عن عشرات القتلى والجرحى، وإنما تناول القضية من خلال مانيكان كانت ترتدى فستان عرسها وعندما بدأت الحرب الآثمة، قطعت إحدى القنابل رأسها. فكتب:

" إن هذا المانيكان الذى يهرب مذعورا من مكان كان قبل الدمار شارعا، لا يحتاج إلى وجه ليعبر به عن مدى الرعب الذى ينتابه. فبالرغم من أنه بلا عينين، إلا أننا نستطيع أن نرى الخوف بين حدقتيه ؛ وبالرغم من أنه بلا فم، إلا أنه يحمل جهاز إنذار مرسوما فوق شفتيه ؛ وبالرغم من أنه بلا شعر، إلا أن ضفيرته مازالت تتحرك يمينا ويسارا بكل يأس.إن يديه، المقطوعتين، تطيران أمامه مثل عصفورين مذعورين من الصراخ الخارج من الحنجرة المقطوعة. ربما لا نجد تحت الفستان ساقين ولا قدمين، لكن هذا لا يمنع أن يهرول جريا بعد المحنة التى أصابته والتى تتضح فى صورته... "

أما عن القصة القصيرة عند مياس فهى تتميز، فى أغلبها، بالاعتماد على عنصر المفاجأة والتشابه، واستخدام الجمل القصيرة المكثفة، وتناول القضايا اليومية بمزج بين الواقع والخيال، والحرص الدائم على منطقية الحدوتة وتطورها، وختمها بالمفاجأة. وبالرغم من الكم الهائل من القصص القصيرة التى كتبها، إلا أن وجه الشبه الوحيد بين قصة وأخرى هو مياس نفسه، الكاتب، فبصمته تعلو كل قصة، ونبرة صوته تسمع فى كل كلمة، وخياله لا يختفى أبداً من أى جملة، فلا تتشابه قصة مع أخرى، ولاتتكرر، وإن تكررت الفكرة فأسلوب التناول مختلف.

أما مياس الروائى فهو مياس الأصلى، الذى تعرفنا عليه من خلال رواياته، وإن تشابه كثيرا مع مياس الصحفى والقصاص. إنه روائى مقتدر يعلم كل شىء عن شخصياته، كيف يتحركون، فيم يفكرون، ماذا يريدون، ما أحلامهم وإحباطاتهم، ما الخواطر التى تمر ببالهم، ماذا عن ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم. لهذا فهو يضع لكل منهم الحوار الذى يناسبه والأفكار التى تتلاءم مع مهنته وثقافته والاستنتاجات التى تتوافق مع خبرته. وتبدو رواياته، ولعل هذا أكثر ما يلفت الانتباه، كما لو كانت قد كُتبت خلال ساعة واحدة، فى حالة نفسية واحدة، بنفس درجة

المشاعر والمنطقية والنظرة الثاقبة للأمور من أول كلمة فى الرواية إلى كلمة الختام. فلا تناقض فى الأفكار ولا فى المشاعر، ولا تضاد بين كلمة هنا وجملة هناك، فالرواية فى مجملها نسق واحد، كما لو كان قد ظل يكتبها داخل رأسه حتى انتهت، فجلس ليكتبها على الورق بنفس النسق المرتب برأسه.

وعادة ما يبدأ رواياته، كما فى هذه الرواية ورواية " كانت هذه هى العزلة " بحدث بسيط تأتى بعده الأحداث الكبيرة متوالية. فهنا يبدأ بقوله: " هذه الشقة التى يدق فيها الهاتف الآن..." ثم يأتى الخبر الهام الذى تبنى عليه أحداث الرواية : " إن مانويل قد صدمته سيارة حالا. ". أما فى " كانت هذه هى العزلة " فيبدأ بقوله: " كانت الينا تزيل شعر قدمها فى غرفة الحمام عندما دق الهاتف وأخبروها أن أمها قد ماتت" وبناء على موت الأم تتطور الأحداث ويحدث انسلاخ البطلة من شخصيتها لترتدى شخصية أمها، سواء فسيولوجيا أو نفسيا أو فكريا.

إن الكوارث عند مياس هى التى تحرك الأشخاص، تجعلهم يتأملون الحياة، يراقبون الواقع، يؤمنون بالخيال، ينسلخون من شخصيتهم ويتخلون عن هويتهم ليصيروا من يحبون، كأنهم بذلك يحيون ذكراهم.

إن الرواية التى سنقرؤها الآن تعيدنا إلى مياس الأصلى الذى تعرفنا عليه وعرفناه عن طريق أسلوبه القدير فى المزج بين ما هو خيالى وما هو واقعى، لدرجة لا يمكن معها فصل أى منهما عن الآخر. وقد عنون روايته هذه بـ (لاورا وخوليو) وربما لم يستخلص من الأحداث عنوانا حتى ندرك أن ما يهمه فى الامر هو بطلا الرواية لا ما يروى عنهما. والحق أن فكرة الرواية فى مجملها ليست جديدة، فهى باختصار: الثالث الذى يدخل على اثنين آمنين مطمئنين فيعكر عليهما حياتهما ويكشف لهما بؤسهما ويفرق بينهما. ثم ما يلبث القدر أن ينتقم من هذا الدخيل، وتعود مرة أخرى المياه إلى مجاريها.

لكن روعة الرواية تكمن فى تناول هذه الفكرة، فى التفاصيل الدقيقة التى تكون المجمل، فى الأفكار والمشاعر المختلفة، فى عناصر المفاجأة، فى الحواديت التى يحكيها البطل، والأفكار التى يعتنقها الدخيل، والخيالات التى تراود الجميع. إن هذه الرواية يمكن وصفها بأنها، وهذا اقل ما توصف به، رواية إنسانية من الطراز الأول. فنجد فيها المشاعر الفياضة، من حب وألم وحرمان، كما نجد فيها إشارة إلى نقد المجتمع الذى دفع بنات الطبقة الوسطى اللاتى ينتسبن إلى عائلات محترمة إلى العمل فى الدعارة. كما ينتقد المجتمعات الأوربية المتقدمة بنقصان العامل الروحى وتغلب العنصر الجسدى. على أن ما يميز مياس بشدة فى هذه الرواية، قدرته على سرد قصص أطفال تبدو فى ظاهرها بسيطة، لكن من ورائها تكمن أفكار عميقة، كما فى حدوتة الظلال : (حيث تقرر الحكومات، نظرا لأن عدد الأشخاص ضعف عدد الظلال، أن تقسم كل ظل إلى نصفين، فيصير بذلك كل شخص بنصف ظل.) وهى حدوتة تشبه الاسطورة اليونانية:(عندما خلق الله الخلق، خلق الرجل ـ الأنثى، الذى يحتوى على اعضاء ذكورة وانوثة. فلما وجد هذا المخلوق باردا لا يحتاج لأحد، قرر أن يقسمه إلى نصفين، فصار الذكر والأنثى. ومنذ ذلك الحين كل نصف يبحث عن نصفه الآخر) ومن هنا جاءت فكرة " نصف التفاحة".

لكن فى حدوتة مياس لا يتوقف عند المعنى العاطفى، وإنما يستمر مع خياله الذى يفضى به لطرقات أخرى كثيرة.

وكما قد تطعمت الرواية بحواديت أطفال، تطعمت أيضا بقصص قصيرة ترتبط بلا أدنى شك بالرواية. كما هو الحال فى قصة "الصرافة والسيدة العجوز ". تلك القصة التى ظلت حاضرة على طول الرواية ومصاحبة لخوليو، البطل، من آن لآخر.

كذلك نجد فى الرواية لجوء المؤلف لاستخدام التكنولوجيا الحديثة،

التى أصبحت جزءا لا يتجزأ من واقعنا، مثل الكمبيوتر، الانترنت، البريد الأليكترونى، الهاتف المحمول. وهى كلها ألفاظ استخدمها المؤلف فى روايته، بل واعتمد عليها فى تطور أحداث الرواية.

وعندما تحدث مياس عن هذه الرواية قال: " عندما كان عمرى ثلاثة عشر عاما، أرسلتنى أمى لإحضار فنجان زيت من جارتنا، فلما دخلت شقتها أصابنى الذهول، حيث وجدتها صورة طبق الأصل من شقتنا، لكن كل ما هو على اليسار عندنا، على اليمين عند جارتنا، عندئذ خرجت أنا غير الإنسان الذى دخل." لقد ظل مياس منذ ذلك الحين يؤمن بفكرة التشابه، " منذ ذلك الحين وفكرة هذه الرواية فى ذهنى " ـ قال مياس ـ ويأتى الآن بعد ثلاثة وأربعين عاما من هذا الحدث، ليروى هذه الرواية، التى تعتمد بشكل كبير على فكرة التشابه تلك.

وأخيرا، فإن خوان خوسيه مياس، قد أضاف بهذه الرواية، نجاحا جديدا لنجاحاته السابقة، التى تبرهنها ترجمة أعماله إلى خمس عشرة لغة بمجرد صدورها، ونفاد أعماله من المكتبات وطباعتها طبعة ثانية وثالثة ورابعة، والشهرة التى يحظى بها بين قراء الأسبانية، واهتمام النقاد بأعماله والثناء عليها، بالإضافة للعديد من الجوائز التى حصل عليها، ومن بينها جائزة ناضال وجائزة سيسامو، والكثير غيرها.

أعمال مياس

يوصف مياس عادة بأنه كاتب غزير الإنتاج، يكتب فى العام كتابين تقريبا، هذا بالإضافة للمقالات الأسبوعية التى يكتبها فى العديد من الجرائد الإسبانية، مثل جريدة البايس والإنترفيو. وهذه هى الكتب التى نشرها مياس حتى هذه اللحظة:

(١) العقل هو الظل (٢) رؤية الغريق (٣) الحديقة الخالية (٤) الورقة المبلولة (٥) كانت هذه هى العزلة (٦) العائد إلى البيت (٧) إنها تتخيل (٨) غبى وميت وابن حرام وغير مرئى (٩) اقصوصات فى

الفضاء (١٠) ثلاث روايات قصيرة (١١) الترتيب الابجدى (١٢) الارمل العاجزة وحكايات أخرى (١٣) لا تنظر تحت السرير (١٤) المقال الأقصوصة (١٥) أعداد فردية وزوجية وساذجة (١٦) امرأتان بالملابس الداخلية (١٧) حكايات زناة تائهين (١٨) هناك شيء ليس كما يقولونه لى (١٩) كلها أسئلة (٢٠) ماريا ومرثيدس (٢١) عين القفل (٢٢) لاورا وخوليو.

هذه الشقة التى يدق فيها الهاتف الآن تتكون من غرفتين وصالون يطل على شارع ضيق فى وسط البلد. وينقسم هذا الصالون إلى جزءين: الجزء الأيسر، القريب جدا من حاجز المطبخ الأمريكى، يستخدم عادة فى تناول الطعام. أما الجزء الأيمن فيستخدم للمعيشة، وبه تلفاز. تطل نوافذ الغرفتين، بزاوية مباشرة، على الفناء الداخلى الذى تمنحه أحبال الغسيل هواء منعشاً، كما لو كان الفناء رقبة يتنفس من خلالها المبنى.أما غرفة الحمام، الخالية من أى نافذة، فتقع مسنودة على إحدى الغرفتين. والغرفة الاخرى تستخدم كغرفة عمل، بالرغم من أن لاورا وخوليو لو أنجبا لصارت غرفة الأطفال.

لقد اعتادا أن يتركا الهاتف يدق أربع مرات وعادة ما ترد لاورا، التى اكتسى وجهها، فى هذه المرة، وبعد سماع ما أخبروها به من الجانب الآخر، بصرامة قناع عجزت فتحته السفلى، الفم، عن نطق مقطعين أو ثلاثة قبل أن تضع السماعة. بعد ذلك، متحدثة مع نفسها أكثر منها موجهة حديثها لزوجها، قالت إن مانويل قد صدمته سيارة حالا. واضافت انه قبل أن يفقد الوعى سألوه من يهاتفون، فأعطاهم هاتفنا.

لقد قسم خبر الحادثة نهار يوم السبت إلى جزءين كما يقسم الساطور اللحم. ومن خلال تعبيرات وجه لاورا، خمن خوليو أنه

بمجرد الانتهاء من الأمور اليومية المعتادة عليهما أن يواجها لحظة خذلان مفرطة، والتى بسببها، فى حالة تأخير هذه اللحظة، سيفترض حدوث أشياء غير مجدية لا تريد لاورا مجرد سماعها. وبعد مضى دقيقتين، وعندما عادت لاورا إلى جسدها كما يعود العصفور إلى قفصه بعد أن يصطدم عدة مرات بالحائط، انتبها إلى انهما لا يمتلكان نسخة من مفتاح شقة مانويل (بالرغم من أن مانويل يمتلك نسخة من مفتاح شقتهما) وهو الأمر الذى يفرض استحالة دخول شقته والبحث عن تليفون أو عنوان أحد أقاربه لينهى الإجراءات اللازمة. وليتحمل الألم. حينئذ انتبه خوليو أنهما انشآ علاقة حميمة رائعة مع شخص يجهلونه بشكل شبه تام. المشكلة تكمن فى أن زواجهما، بدون هذا الشخص، كان سيصير ناقصا. كان جو هذا اليوم،المتقلب والرطب، يخترق الشقة ويلامس، كتنهيدة جنائزية، روح الزوجين. وكان التلفاز المشتعل، بالرغم من أنه صامت، يعرض إعلانا عن عطر أنتجته حديثا شركة نابيداد.

- يبدو أننا ترملنا - قال خوليو بسخرية ليخفف من وطأة هذا الموقف الدرامى، بالرغم من أنه بذلك زاده تعقيدا، حيث إن لاورا، بعد أن عاتبته على وصفه لمانويل بالمتوفى، انفجرت فى البكاء.

إن مانويل هذا الذى صدمته الآن سيارة قد سكن فى الشقة المجاورة لشقتهما منذ سنتين. وبالرغم من أن الثلاثة من نفس السن، إلا أنهما يعتبرانه تحت وصايتهما، أو هكذا أعجبتهما اللعبة. ولقد تعرفا عليه ذات يوم عندما اضطر خوليو أن يطرق بابه لينبهه أن شقته ظهرت فيها بقعة رطوبة.

- أعتقد أن سببها المطبخ.

أفسح له مانويل الطريق وبعد أن نظرا معا بدقة تحت الحوض اكتشفا مكان تسرب الماء الذى استطاع خوليو تصليحه فى دقيقتين حيث أنه كان مزودا بالعدة. بعد ذلك دعا مانويل ليتناول معه القهوة فى شقته

وقدمه لـ لاورا. وقد انتهى اللقاء بالاتفاق البروتوكولى، بأن يساعد كل منهما الاخر عند الحاجة.

بعد تعارفهم بعدة أيام، وعند عودته للبيت بعد الانتهاء من تصوير فيلم كان مكلفا بعمل ديكوراته، وجد خوليو مانويل داخل صالون شقته يتحدث مع زوجته بحماس. جاء ليطلب فنجان زيت وبقى ليتناول معهما العشاء. احتفل خوليو فى داخله بتطور العلاقة، حيث أنه هو وزوجته قد انعزلا عن العالم بشكل غير محسوس منذ أن تزوجا.

كان مانويل يرتدى، فى هذه الليلة، بنطلونا جينز وقميصا أبيض ومعطفا أسود. وبالرغم من أن القميص لم يكن رياضيا، وفى رأى خوليو كان فى حاجة لارتداء ربطة عنق، إلا أنه كان أنيقا بمظهره دائم التغير فى مجمله. كان مانويل يعطى الانطباع دائما بأنه خرج سريعا قبل أن يرتدى ربطة العنق، مع أنهما لم يشاهداه أبدا مرتديا هذه الربطة. كانت طريقة ملبسه، حركته، حديثه، توحى بأنه قادم من طبقة أعلى، بالرغم من أنه قادر على التكيف مع هذا الشخص الجديد الذى صاره.

بعد أن جلس خوليو على المائدة، تأملهما مانويل بنظرة خبيثة وأكد لهما أنهما يبدوان أخوين.

- تبدوان أخوين.

لكن عندما لاحظ أنهما مرتبكان، كما لو كانا لا يعرفان هل هذا مدح أم ذم، أضاف بتلقائية إنه متفق مع حب المحارم وإن كل حب فى أصله حب محارم.

نحن نعشق ما يبدو لنا عائليا. لا تنظرا لى هكذا. لو كان لى أخت، كانت ستجذبنى أو كنت سأترك نفسى لأنجذب لها.

على أية حال، كان يغلف أراءه الغريبة بغلاف ساخر جعل المستمع يحتار فى جدية ما يقوله.

كان مانويل نحيفا ومرنا شبيها بالسلك الفولاذى. كان رأسه مصباحا

خاضعا لأحد أطراف هذا السلك. وكان رأسه كبيرا ودائم الإضاءة بنور يخرج من فكره الرقيق الذى يشبه سلك مقاومة المصباح. أحيانا كان يوحى بأن المقاومة، بعد أن تهتز برقة، كانت تنصهر. لكنها فى الحقيقة كانت تستريح قليلا لتعود مرة أخرى للسطوع وبشكل أكثر كثافة.

بعد أن تناولوا العشاء انتقلوا إلى الجزء الأيمن من الصالون والذى يحتوى على الأنتريه. حينئذ ذكر خوليو مانويل بان كأس النبيذ مازال بيده (هذا النبيذ الذى أحضره معه من شقته) فقال مانويل " حقا إن لديكم أنتريه "، بدهشة مرحة وأسف لأنه أحرجه. كان خوليو مهندس ديكور، ولم يكن يجهل أن شكل الأنتريه تقليدى، لكنها التقليدية المناسبة لملء فراغ هذه المساحة. ومع مرور الوقت، وفى كل مرة كان يزورهما فيها مانويل ليتناول كأسا أو ليشاهد فيلما وكان يأخذ راحته على طرف الكنبة، مثل الجنين داخل رحم أمه، تظل على طرف لسان خوليو أن يذكره بهذه الدهشة المرحة المتعلقة بالأنتريه، لكنه كان دائما يتراجع.

ظلوا يتحدثون عن حب المحارم. أكد لهما مانويل أنه أحيانا نجد أشياء جديدة فى الحياة، لكنها دائما لها صدى لأشياء قديمة فى دواخلنا.

عما نبحث فى كوكب المريخ؟ نبحث عن ماء، أرأيت الجديد الذى نبحث عنه، إنه الماء. ونكتشف الكون لنتحقق إذا ما كانت هناك حياة، بمعنى آخر، إذا كان هناك مزيد مما نملك. فالرجال، عرفوا ذلك أم جهلوه، يتزوجون بأمهاتهم، والنساء يتزوجن بآبائهن، لأنهم الصورة المثالية. فلو عرف الناس مع من يمارسون الجنس عندما يمارسونه، لأصابهم الذعر.

- وأنت، مع من تمارس الجنس؟ - سألته لاورا واحمرت وجنتاها فى الحال.

- ليس لى صورة مثالية، لاننى ليس لى أم.

بعد أن تناولوا الحلوى قدم خوليو لمانويل كأس ويسكى، لكنه رفضها متعللا بأنه لا يشرب المشروبات المقطرة، باستثناء النبيذ. ولا يشرب أيضا المشروبات الكربونية، وبالرغم من أنه لم يعبر بهذا الشكل، إلا أنها تبدو له مشروبات فظة.

وبعد عامين من هذا المشهد، لم يتحقق خوليو بعد من أضرار المشروبات المقطرة أو الكربونية. فالنبيذ يسبب له حموضة وصداعا. لذا كان يشرب فقط جن بالصودا، وهى تركيبة ثقافية تجمع كل ما يكرهه مانويل، وعلى ما يبدو على معرفة بالأسباب. فى هذه الليلة الرئيسية فى علاقتهم، وقبل أن يغادر الضيف البيت، جمع خوليو الأطباق وأخذها لحوض المطبخ ليغسلها بينما استمر منتبها للحوار. وعندما طلبت منه زوجته وجاره أن يترك هذا العمل للغد، أجابهما بأنه يضايقه أن يذهب للسرير قبل غسيل الأطباق. سخر مانويل من هذا الهوس بالنظافة وأكدت له لاورا أن زوجها ملئ بالهوس.

- هل هو من هؤلاء الذين يغسلون أيديهم كل عشر دقائق؟ - سأل مانويل.

- ليس لهذا الحد - أجابته لاورا ضاحكة.

■■■

فى وسط نهار يوم السبت، وبينما كانا يلعبان داخل البانيو بالماء كالغرقى متسائلين ماذا سيفعلان أو بمن سيتصلان هاتفيا ليعرفونه بحادثة صديقهما، خطرت على بال خوليو فكرة الاتصال بوزارة الخارجية، حيث قد سمع مانويل ذات مرة يقول إن أباه دبلوماسى. وبعد نصف ساعة من الحديث مع أحد الموظفين الذى زوده بالمعلومات التى يحتاجها، دق تليفونه وتحدث أبو مانويل من الجانب الآخر. وبالرغم من هذه الظروف العصيبة التى تمر بها، انتظرت لاورا الهاتف حتى دق أربع مرات، ثم ردت وأطلعته على ما حدث. شكرها الصوت المحايد، المؤدب للغاية، طبقا لما روته لخوليو بعد ذلك، وطلب منها اسم المستشفى الذى يرقد فيه ابنه، وأخبرها انه سيتأخر على الأقل ٢٤ ساعة ليصل إلى مدريد، حيث إنه سيسافر من آسيا.

انتهيا من الإجراءات، وقضيا النهار البارد عابرين المدينة غير المبالية فوق موتوسيكل خوليو، متدثرين ببدل خاصة تعزل جسديهما عن الجو المحيط، حابسين رأسيهما وأفكارهما داخل خوذة تذكرنا بتركيبة وشكل جمجمة بعض الحشرات. وفى المستشفى أخبروهما بحالة المريض على أنهما عائلته، وتأملا، بقلب مقبوض، جسد مانويل الهامد، والمتعلق به بعض الأجهزة التى كانت تتحكم فى ثوابته الحياتية (هذا هو ما قاله

الطبيب، ثوابت حياتية، وهو التعبير الذى ظل يتردد فى ذهن خوليو كما لو كان مقطعا من أغنية قد سمعها عند استيقاظه من النوم.) لم يقضيا وقتا طويلا لأن التعليمات لم تسمح، وأيضا لأن رائحة المستشفى تمرض لاورا، التى بمجرد خروجها للشارع، حبست نفسها فى بدلتها، التى ترتديها أثناء ركوب الموتوسيكل، وفى الخوذة، كما لو كانت تختبىء داخل نفسها.

ناما هذه الليلة بدون أن ينبسا ببنت شفة: منذ فترة طويلة يتحدثان من خلال مانويل وبالتالى كانا لا يعرفان الحديث فى غيابه. فبداية من اليوم الذى جاء فيه طالبا فنجان زيت، أصبح وجوده فى شقتهما مستمرا. فهما لا يستطيعان، ولا مانويل كذلك، الحياة بدونه. دائما كانوا يلتقون فى بيت لاورا وخوليو، وسريعا ما امتلك مفتاحا لهذه الشقة، كان يستخدمه بحذر، ليخرج ويدخل كلما أراد. لم يكن يعمل خارج شقته، حيث كان كاتبا. هكذا كان يقدم نفسه ، على أنه كاتب موهوب، بلا كتاب.

- وكيف تعرف أنك موهوب إذا لم تمنح لنفسك الفرصة لتثبت ذلك؟ . سأله خوليو ذات مرة.

- لأن هذه أشياء تلاحظ - أجابه مانويل بنبرة وقحة - لقد كانت حاسة شم الكاتب عندى هى التى جعلتنى، مثلا، أعقد صداقة معكما.

- وما العلاقة بين صداقتنا وكتابتك؟

- أنتما لا تنتبهان للأمر، لكنكما شخصيات روائية، فكل منكما بمفرده أو مجتمعا مع الآخر يعد بطلا. ربما استطيع أن أكتب عنكما رواية، لكننى أفضل أن أتعايش معكما على أن أكتب عنكما.

- ماذا أملك أنا لأكون شخصية روائية؟ . سألت لاورا وقد أصابتها كلمات مانويل بالغرور.

- الغموض.

- وما معنى هذا؟

- يعنى انه يمكن فهمك بطرق كثيرة، وكل هذه الطرق مقبولة. فأنت نص مكتوب بالشفرة.

- وأنا؟ ماذا أملك لأكون شخصية روائية؟ - سأل خوليو، لا ليعرف إجابة لسؤاله، وإنما ليقطع أكثر هذا الحوار الذى اشتد فجأة بين لاورا ومانويل.

- الجنون.

- كيف الجنون؟

- أنت مجنون تماما. واذا أردت أن أقول لك الاجابة، فأنا أتخيلك كشخص اكتشف ذات يوم، من ايام شبابه، أنه مجنون، ومنذ ذلك الحين لم يفعل شيئا آخر غير محاولة إخفاء هذا الجنون..ولم يكتشف أحد هذا الجنون، لا عائلتك ولا زوجتك ولا أصدقاؤك، لكننا، أنا وأنت، نعلم بهذا الجنون: أنت تعرفه لأنك تعانيه، وأنا أعرفه لأننى كاتب.

- كاتب بلا كتاب - أضاف خوليو قائلا بضحكة، ليدارى الاضطراب الناتج عن كلمات جاره.

- نسبيا، الوصف الذى انتهيت من وصفك به وصف متقن.

ضحك الثلاثة، بالرغم من أن ضحكاتهم كانت متفاوتة. وبينما كان يضحك، شعر خوليو بحالة من الانفصام ذكرته بالحدث التالى الذى جرى له فى طفولته: كان فى طريقه للمدرسة بصحبة أمه التى أمسكت يده، وعند عبورهما الشارع كان يتعلق بيد أمه الأخرى طفل أعمى، نظر خوليو للطفل بفضول ، بل وبعدم لياقة ، وفى هذه اللحظة، كما لو كان ضوء قد انفجر داخل جمجمته، ضوء ناتج عن انفجار نووى، عندئذ امتلأ الواقع بهالة بيضاء مكثفة جدا جعلت المشاة كالأشباح وجعلت الشارع ديكورا .هذا الحدث لم يستمر أكثر من ثانيتين أو ثلاث ثوان، وخلالها رأى خوليو نفسه من خلال الطفل الأعمى. وعند اختفاء هذه

الهالة وعودة الشارع إلى طبيعته، كان الطفل الأعمى يتأمل خوليو بنقرتى عينيه المنطفئتين، بينما طلب خوليو من أمه أن تغير الرصيف. الآن حدث هذا الانفصام فى شخص مانويل.

وخلال عشر ثانية، التى ظهرت فيها من جديد الهالة التى جمدت الضحك لحظات، عرف خوليو - لأن الأمر لم يكن شعورا، وإنما حقيقة - أنه لبس جسد مانويل بعض اللحظات بدون أن يهجر جسده الشخصى.

- ومم يعيش الكاتب بلا أعمال؟ - سال خوليو ليخفى الحدث الذى عانى منه للتو، وليظهر أيضا عدم أهمية مانويل.

- لاتكن وقحا - أجابه الكاتب باختصار. فأنا وأنت نعلم أن العمل شىء مبتذل.

■■■

تأخر أبو مانويل فى الوصول حوالى يومين ، حيث كان قادما من الصين ، وهو ما يعادل القدوم من كوكب المريخ بالنسبة لخوليو. كانت الصين بالنسبة له هى الأرض الغامضة بشكل كبير والبعيدة كما لو كانت تجسد بعدا واقعيا مختلفا تماما عن واقعه.

اتفق على مقابلته أمام مدخل المستشفى. تعرف عليه على بعد مسافة مائة متر، ليس فقط عن طريق التشابه الفسيولوجى بينه وبين ابنه، وإنما أيضا عن طريق أناقته التى لعبت فيها البدلة والمعطف دورا واضحا. إن التميز، فكر خوليو، ينبع من الداخل. بعد أن قدم له نفسه، توجه معه ناحية المصعد متأملا خفية حركة ذراعيه وساقيه، وبدت له كالجذع ، كالعناصر الزخرفية ، أكثر منها أعضاء ذات فائدة. كان سنه فى الظاهر مثل كل السفراء وكان اسمه مانويل مثل ابنه، وكان هذا أيضا علامة من علامات التميز فى مواجهة اسم مانولو الذى يتخذه عادة أصحاب هذا الاسم كاسم تدليل.

كان خوليو يرتدى ثوب سائق الموتوسيكل، واضعا فى يده الخوذة ، وكانت هذه هى طريقته ليقول إنه وصل حالا أو إنه كان على وشك الرحيل، وكانت هذه الهيئة هى أكثر هيئاته التى يعشقها.

عندما وصلا إلى طابق العناية المركزة، لم يتوجها مباشرة إلى

غرفة المريض، وإنما وقف أبو مانويل ليتحدث مع إحدى الممرضات التى طلب منها بحزم حضور المسئول عن العناية المركزة، وبالتالى حضر الطبيب فورا. وقف خوليو بعيدا عندما كانا يتحدثان ، لكنه سار بعد ذلك خلف الدبلوماسى إلى الغرفة التى يرقد فيها جسد صديقه. وبالرغم من أن الأنابيب كانت موصلة بجسده بالإضافة إلى أجهزة أخرى، إلا أنه كان يشعرنا أنه هو الذى يشغل هذه الأجهزة وليس العكس. فكر خوليو حينئذ أن الأشخاص أمثال مانويل وابيه يلبسون من الداخل للخارج، بحيث أنهم كل يوم، عند الاستيقاظ ، يرتدون أولا الأفكار وفوق الأفكار يرتدون الأحشاء وفوق الأحشاء العضلات ، وهكذا حتى يصلوا إلى قطع الملابس. بينما خوليو يلبس، على العكس، من الخارج للداخل. يرتدى اولا ثوب سائق الموتوسيكل ومن تحته ملابس غير رسمية متوقعة لمهندس ديكور ، وبعد ذلك يضع الجلد ثم اللحم ثم الضلوع...، منتظرا أن يعطيه كل هذا الديكور الخارجى شخصية مبتدعة، فكرا مختلفا، شكلا ما لمواجهة هذا العالم الغريب. ولكن هل يتحقق هذا؟.

أدرك مانويل أخيرا أنه فى غيبوبة ، كما كان أبوه مدركا أيضا أنه مستيقظ. سجل خوليو التعبير شبه الغامض الذى أبداه هذا الرجل. لا يمكن القول إنه لم يشعر بالأسى، ولكن يمكن القول إنه عبر عن أساه بشكل أنيق.

بعد أن استمر واقفا أمام جسد ابنه بعض الوقت، معلقا معطفه على ذراعه اليسرى، نظر لخوليو بإيماءة من لا حول له ولا قوة.

- إنه شىء فظيع - أضاف قبل أن يدير وجهه ويخرج من الغرفة.

كانت طريقة سيره وحركته توحى بأنه لا يخاف. لقد شرح له مانويل ذات مرة أن غذاء الشقاء المفضل هو الخوف، ولقد تحقق خوليو من هذا القول فى نفسه. فأسوأ الفترات التى تعامل فيها خوليو مع لاورا، بل ومع نفسه، كانت هذه الفترات التى عانى فيها من خوف شديد، الخوف

من أن يفقد ما يمتلك ، من ألا ينال ما يعتقد أنه يستحق ، من ألا يهتم به الآخرون...

إن الشخصيات التى تشبه مانويل وأباه يتصرفون بمفهوم وجودى مختلف. فلا أحد يستطيع أن ينتزع منهم ما يملكون لأن إرثهم الأصلى لا يمكن لمسه. أما إرثهم الآخر الذى يلمس فهو امتداد للأول وينمو بمفرده، وفى حالة ضياعه، سيصير مثل ذيل السحلية، من الصعب الإمساك به. إنهم يعيشون فى عالم لا يمثل لهم العمل فيه أدنى مشكلة.

ـ أتحب أن نتناول فنجان قهوة؟ ـ دعاه خوليو.

نظر الرجل فى ساعته وقبل الدعوة.

كانت الكافتيريا تقع فى الطابق الاخير بالمبنى، ومن خلال الترابيزة التى جلسا عليها رأيا حافة المدينة غير المحدودة. طلب الدبلوماسى كوب شاى ربما لم يتناوله، أما خوليو فقد طلب صودا، أو بمعنى آخر، مشروبا كريونيا جعل أبا جاره ينظر له بتوجس. عادة ما يتحدث خوليو مع صديقه بصيغة أنت، أما مع والد صديقه فقد عامله بصيغة حضرتك.

ـ ماذا قال الطبيب لحضرتك؟

ـ قال إنه يتحدث ببراعة وهو فى غيبوبته. وإن حالة تحسنه لا يمكن التنبؤ بها، فربما يستمر هكذا سبعة أيام أو سبعة اشهر. وبمجرد أن تلم كسوره وتلتئم جروحه، ستتحسن حالته.

ـ حسنا.

ـ أريد أن أشكرك أنت وزوجتك، فلتبلغها شكرى، فلقد قمتما بالواجب. أنا اعرف أخباركما من مانويل، وأعرف أنكما كعائلته.

احمر وجه خوليو خجلا، لكن لم يتح من الوقت أكثر من ذلك حيث أن الرجل قال إن عليه الرحيل. فالرجال أمثاله يأتون من مكان ليتوجهوا إلى آخر. يتعاملون مع الحاضر على أنه إنهاء إجراءات كما لو كان مطارا .فلو كان هناك شىء فى المطار يروق لخوليو، سيكون عدم انتساب

أحد لهذا المكان ، لأنهم ينتسبون للمكان القادمين منه أو المتجهين إليه. عندما وصل ابو مانويل لمدخل المستشفى، حرك رأسه من اليمين لليسار وفى الحال، وفى غمضة عين، اقتربت سيارة.

- هل أوصلك لأى مكان؟ - سأل الرجل خوليو، كما لو كانت الملابس التنكرية التى يرتديها والخوذة التى فى يده، أشياء غير مرئية.

- شكرا، معى الموتوسيكل - أجابه.

■■■

فى هذه الليلة سألت لاورا خوليو فى السرير كيف كان والد مانويل، فأجابها بأنه عادى.

ـ كيف عادى.

ـ عادى مثل كل الأغنياء. يأتى من مكان ليذهب إلى آخر. أعطانى الشعور بأنه زار ابنه لأنه كان عابرا من هناك.

ـ هل بكى؟

ـ أعتقد لا.

ـ حسنا، وماذا قال.

ـ لا شىء، غير أن الطبيب لا يستطيع أن يتنبأ بهذه الحالات، وأنه ربما يستمر فى حالة الإغماء هذه لمدة سبعة ايام أو سبعة أشهر وأحيانا سبع سنوات. وسألنى إن كان يمكن أن يوصلنى لأى مكان، حيث إنه عندما خرج للشارع قام بحركة يد سحرية فظهرت على أثرها سيارة.

ظل خوليو مستلقيا بوجه ناظر لأعلى وبيدين متشابكتين خلف رقبته ونظرة تائهة فى عمق السقف. بينما كانت لاورا منكمشة، فى وضع الجنين، معطية ظهرها له، ربما بعينين مفتوحتين. كانا ينامان والنافذة مغلقة ليسود جو من الظلام الدامس، لكن لو استمر أحدهما مستيقظا،

سيلاحظ عاجلا أو آجلا بصيص الضوء الذى يخترق الغرفة. كانا يقتسمان وسادة طويلة كانت تسحبها ليلا إلى جانبها، بالرغم من أن المرتبة كانت مائلة قليلا من جانبه.. لم يستخدما مطلقا الملاءات البيضاء وعادة ما كانا ينامان على الجانب الأيمن، ظهر لاورا أمام صدر خوليو، وبسيقان متشابكة مثل جذوع الشجر. وبالرغم من أن شيئا جديدا لم يحدث بينهما، إلا أن لاورا ظلت خلال العشاء صامتة بإصرار، فأجاب خوليو على صمتها بصمت متجهم. شاهدا بعد ذلك التلفاز من مكانين مختلفين، ثم ناما فوق نفس المرتبة كما لو كان كل منهما ينام فى سرير مختلف. لقد اقتحم هذا الشكل من النقاش بلا نقاش عاداتهما مع ظهور مانويل ، ربما لأن مادة الخلاف السوداء كانت هو ، ربما لأن هذا النوع من الخلاف يحتاج وجود وسيط. لقد انفجرت الأزمة عقب وصوله بشكل عام، كما يعقب النهار الليل.

بعد مضى بعض الوقت، عندما خمن خوليو أن لاورا قد سبحت فى نومها، شعر بأنها ترتعش قليلا.

- ماذا حدث؟

- لا شىء.

- كيف لا شىء، أنت تبكين - قال لها وقد غير وضعه ليعانقها

- لا - أجابته وهى تنهنه باكية.

- لماذا تبكين؟ - سأل خوليو.

- بلا سبب.

- قولى لى ماذا جرى لك، من فضلك - ألح فى سؤاله بانشغال.

- أنا حامل.

لم يتحدثا فى إمكانية إنجاب طفل منذ أكثر من سنتين، بعد أن حاولا خلال عدة أشهر لتصير لاوار حبلى. وبما أن أحدا منهما لم يقترح

الذهاب إلى طبيب، ربما خوفا من رد الآخر، فقد تركا الحديث فى هذا الموضوع كما لو كان مرضا لا علاج له. وفى مرحلة الانتقال من الرغبة إلى الصمت، ظهر مانويل فى حياتهما، فحاولا الاهتمام به ليشغل المكان الذى لابد أن يشغله الطفل.

لقد جاء خبر الحمل، إذن، كمكافأة قد كفا عن انتظارها، كهدية جاءت فجأة، وبالتالى فقد تأخر خوليو بضع ثوان ليثير فى نفسه رد الفعل المنطقى ، الذى كمن فى تأكيده، بصوت مشروخ (هكذا عبر هو، " بصوت مشروخ ") إنه خبر جديد جميل بينما كان يحاول أن يحيط كلية بجسد زوجته، ويحميها من الخارج برقة متناهية، كما لو كان يحمى الطفل من أذى ما. أما هى فقد انكمشت بدون أن تكف عن البكاء بسبب عاطفتها، أو هكذا ظن خوليو، الذى كان بقدر ما يملس على شعرها كان يستعيد نفسه من الاضطراب الحقيقى الذى أحاطه لكونه أبا.

■■■

حددت **لاورا** موعدا مع طبيب أمراض النساء، وبدأ خوليو يعتنى بها بشكل خاص. كان يذهب لينتظرها بعد العمل، يقدم لها الهدايا واشترى لها بعض الكتب المرتبطة بالحمل. وكانا يحاولان فى بعض الأيام أن تتوافق ساعات عملهما لزيارة مانويل، ولم يكن هذا بالشىء اليسير، ذلك لأن ساعات عملهما مختلفة تماما. كانت هى تعمل مدلكة فى صالة مساج، حيث تتغير ورديتها كل أسبوع. بينما كان هو يعد ديكور فيلم ويعمل كثيرا فى البيت ، وعادة ما يلتقى بالمنتجة فى اجتماعات. على أية حال، بقدر ما كان جسد صديقهما يتحسن ويلتئم من الكسور والجروح، كان منظره يقترب أكثر إلى فكرة أن كلا منهما قد أعده ميتا. نظم خوليو بعض اللقاءات مع والد مانويل فى المستشفى، واحتفظ بهذه اللقاءات سرا، حتى تبقى لاورا على هامش العلاقة، ولم يكن ذلك صعبا، حيث إن زوجته، منذ خبر الحمل، أصبحت مغيبة. كانت تذهب إلى العمل وتعود، تشاهد التلفاز، تتحدث بطريقة محايدة حول أشياء تافهة، وكانت تبدو مهتمة بما داخلها أكثر بكثير مما يحدث فى العالم الخارجى.

بعد عدة أسابيع، اتصل أبو مانويل على هاتف خوليو المحمول وحدد معه موعدا فى المستشفى ، فى الساعة الأولى من المساء. لقد

انشغل عندما علم بأنهم نقلوا جسد إبنه إلى المنطقة الخاصة بالمستشفى، حيث اعتقد أنه ربما يتحسن هناك. لكن ما أراد أن يقوله لخوليو هو أنه لا يرى سببا ليظل بعيدا عن التزاماته، حيث أن الوضع ربما يطول بلا نهاية. وبالرغم من أنه قد اتفق مع الأطباء على أن يخبروه أولا بأول بالأخبار، إلا أنه كان يريد أن يطلب من خوليو ألا ينقطع عن زيارة مانويل وأن يخبره بأى تغيير يبدو له مهما.

- آسف كثيرا عن عدم تعرفى على زوجتك - أضاف.

- هى أيضا، لكن مواعيد عملها أكثر تعقيدا من مواعيد عملى.

قبل أن يودعه، أخرج أبو مانويل من حقيبته مفاتيح وسلمها لخوليو.

- إذا لم يكن يضايقك - قال - سأترك لك مفاتيح شقة إبنى. فانا لن أوقف أية خدمة، لا النور ولا التليفون ولا الغاز، ولا أى شىء. أريد أن يظل كل شىء كما لو كان هو بخير. لقد وضعت مبلغا فى حسابه حتى يظل مفتوحا ليستقبل كل الإيداعات. أطلب منك أن تلقى نظرة على الشقة من حين لآخر وألا تترك صندوقه البريدى يمتلىء. وإذا كلفك شىء بعض المصروفات ما عليك غير أن تخبرنى. فى هذا الكارت تجد بريدى الإليكترونى وتليفوناتى.

أخذ خوليو المفاتيح واحتفظ بها مؤكدا أنه سيهتم بكل شىء. بعد ذلك زارا مانويل فى غرفته الجديدة، المليئة بالفخامة التى لا يستطيع المريض أن يقدرها ، ثم ودع كل منهما الآخر عند مدخل المستشفى، مثلما حدث فى نفس اليوم الذى تعرفا فيه. فى هذه المرة، اكتفى الرجل بإعطاء إيماءة بيده لتقترب سريعا سيارة لتأخذه.

ركب الموتوسيكل ومفاتيح شقة صديقه داخل جيبه ترتجف، وتوجه إلى منتجة الفيلم الذى يعمل فى ديكوره حيث هناك عُقد اجتماع. كانت له مكانته كمصمم للاماكن الداخلية، لكن عندما ندر العمل السينمائى، وافق على الأعمال الخاصة التى تصله من خلال قسم " العمارة الداخلية

" (هكذا يسميه) التابع للمحلات الكبيرة التى يعرفها. كان أسلوبه يعجب الجميع حيث أنه كان يتنبأ سريعا بالنوع الزخرفى المناسب الذى يأمله العميل. لم يعرف أبدا عميلا غير تقليدى، وبالتالى كان لا يعرف إن كان هذا العميل موجودا أم لا.

وصل للمنتجة منتعشا، كما لو كان قد تسلم تعويذة أكثر منها مفاتيح. حضر الاجتماع مدير الإنتاج، المدير الفنى، السيناريست وثلاثة أو أربعة من المخرجين المنفذين، بالإضافة لمديرة الصوت التى كانت تريد عمل بعض التفاصيل لتجنب المشاكل التى كانت تظهر أحيانا مع الصوت المباشر بسبب الديكور الذى كانت أرضيته تخشخش تحت أقدام الممثلين. كان خوليو قد قرأ السيناريو، وفى البداية بدا له عمل آخر. كان عليه أن يصنع داخل هنجر ضخم، تقع فى منطقة صناعية، بيتا لسيدة عجوز تعيش بمفردها.

كان الفيلم يتناول العلاقة بين صرافة تعمل بسوبر ماركت وبين سيدة عجوز لها جسد كالعصفور، كانت تشترى كل يوم رغيف خبز وعلبتى زبادى، وكانت تختار، لتدفع، الوقوف فى الصف الذى يؤدى لهذه الصرافة. وسريعا ما نشأ بين السيدة والصرافة جو من الود. وذات يوم، وبعد أن أدخلت العجوز مؤنتها فى حقيبتها، سلمت للشابة الصرافة مظروفا. وعندما فتحته الصرافة، وجدت فيه مفاتيح بيت العجوز كما وجدت ورقة فيها، بالإضافة لعنوانها القريب جدا من السوبر ماركت، تقول للشابة إذا لم آت ذات يوم لشراء احتياجاتى فالسبب سيكون وفاتى، " فى هذا اليوم " كما تقول الملحوظة " ادخلى بيتى، خذى كل ما يعجبك كذكرى وبعد ذلك بلغى الشرطة ليدفنونى كما ينبغى قبل أن يتعفن جسدى ".

فات الوقت والعجوز تظهر كل يوم بعربتها. وبينما كانت الصرافة تضع المنتجات على جهاز كشف السعر، كانا يتحدثان عن الحياة والصحة والزمن. كانت العجوز تشترى كل يوم أقل من سابقه، كما لو كانت

صحتها تقل أو ربما تقل احتياجاتها. لم تشيرا أبدا، لا العجوز ولا الصرافة، إلى الاتفاق الذى تم بينهما لأنهما قد عقدا الميثاق الضمنى واحتفظا به فى السر. وأخيرا، اختفت العجوز ذات يوم، وأنهت الصرافة ورديتها الأولى والثانية، معتقدة أنها ربما تأخرت، لكن عندما أغلق السوبر ماركت أبوابه، كانت السيدة مازالت مختفية. حينئذ خرجت الشابة للشارع دون أن تعرف ماذا تفعل. وبهذه الطريقة، دون أن تعرف ماذا تفعل، توجهت إلى بيت العجوز، وأمام مدخله قامت بحركة حيرة متصنعة أكثر منها حقيقية قبل أن تدخل وتتحقق، مأخوذة، إذ كان به شىء شبيه بالضريح. كانت العجوز تقيم بالطابق الثالث، على يمين من يخرج من المصعد. دقت الصرافة الجرس عدة مرات بلا إجابة، وفى النهاية، نظرت يمينا ويسارا، كما لو كانت لصة، وفتحت الباب ودخلت الشقة.

كانت العجوز ميتة فوق كنبة الصالون، وكان التلفاز مشتعلا. بعد أن تخطت الفتاة لحظة الحيرة الأولى، تجولت فى الشقة، قلبت أدراج الدولاب والأثاث حتى وجدت داخل احد الدواليب محفظة من الجلد مليئة بالمال. بدأت تعده فورا، وذهلت من المبلغ، لقد كان اكبر مما تستطيع أن تتخيل. وعندما همت بالخروج بالمحفظة تحت إبطها بدت لها العجوز تتنفس. إنها حية، بالرغم من أنها تحتضر. وعندما لمست كتفها بضغط، برعب، كما لو كانت تيقظها، عادت العجوز لسكونها. ربما خيل لها أنها تتنفس. وبعد حركة حيرة، وبعد أن غيرت قناة التلفاز، حيث إن القناة التى ضبطتها العجوز كانت تعرض جدالا سياسيا جافا، خرجت بالمال، لكنها لم تبلغ الشرطة. سيبلغها أحد الجيران، فكرت، عندما تفوح الرائحة فى السلم. لقد انتصر الجشع أو الحاجة على ترددها الإنسانى. حتى لو لم تكن العجوز على وشك الموت، تقول لنفسها، فهى لن تتأخر فى ملاقاة أجلها. وبالإضافة لذلك، فهى لا تعانى.

خلال الايام التالية تقرأ الشابة الجرائد بكل لهفة، فى انتظار أن تجد خبر اكتشاف موت العجوز. فى الوقت نفسه دفعت ثمن شقة. وحدث الصراع داخل الشابة بين تأنيب ضميرها ومتعتها بالمال، شىء وراء الآخر، لكن بعد أسبوع، تجد العجوز فى محل عملها تعبر، دافعة عربتها بأكلها الذى يشبه أكل العصافير، فى ناحية الصف لتدفع، لكنها فى هذه المرة تقف فى صف آخر غير صف الصرافة. وبينما كانت العجوز تدفع ما اشترته من مأكولات، كانت الصرافة تموت رعبا. وخلال المشاهد التالية، يجعل المؤلف الصرافة والمشاهدين بكل دقة يصدقون أن من يأتى الآن للشراء هو شبح العجوز. وذات يوم تكون الفتاة على وشك الاعتراف بذنبها علنا فى ساعة ذروة الزبائن، ليمتنع الشبح عن الظهور لها، تكتشف أن الشبح هو العجوز فى جسد ميت.إنها استعادت صحتها بمعجزة من الأزمة القلبية وبعد أن تغذت خلال بعض الأيام مما تبقى فى بيتها من طعام، استطاعت أن تجمع قواها وتخرج مرة أخرى للشارع. لقد حرك تأنيب ضمير الفتاة مشاعر السيدة العجوز ومنعتها من أن تعترف علنا، وبما أنه فيلم فى ظاهره ملىء بالمشاعر الطيبة، فقد انتهت العلاقة بين العجوز والصرافة بالصلح ، وتبنت كل منهما الأخرى، حيث أصبحت الفتاة الوريثة الشرعية للعجوز، وذهبت العجوز لتعيش مع الفتاة فى الشقة التى دفعت ثمنها من المال الذى سرقته، وكانت شقة اكثر إضاءة وراحة من شقتها. وفى المشهد الأخير نرى الفتاة تعد مشروبا بتعبير غامض على وجهها. وليس للتعبير الغامض معنى سوى أن ينقلوا للمشاهد الاشتباه فى أن يكون هذا المشروب مسموما.

وفى الوقت الذى قضاه خوليو فى الاجتماع، لمع فى رأسه بيت السيدة العجوز، الذى فكر فيه بالكاد، بسبب الأحداث الأخيرة. كانت لديه المقدرة على بناء المناظر الفسيولوجية القادرة على تمثيل المناظر الذهنية بسهولة وكان هذا أكثر ما يجعل مخرجى السينما يقدرونه. ويطلبونه بسببه. لو كان فى الواقع يقتصر على عمل الديكور لأماكن

موجودة بالفعل، ففى السينما كانوا يسمحون له بخلق هذه الأماكن، كمهندس معمارى، وهو فقط كان مهندسا ممتازا لكنه مزيف. وبينما كان محاطا بأصوات من يشتركون فى الاجتماع، تخيل بيتا قديما بعض الشىء يفصل بين الصالون وصالة الاستقبال أرج من الجبس، كان يوجد فوقه فى وقت ماض ستارة. الستارة اختفت لكن العارضة النحاسية التى كانت تمسكها مازالت موجودة. ومن هذا الصالون، المزود بعناصر معمارية غير مكتملة يستطيع فقط المشاهد الشعور بها بحواسه وليس بعينيه، ينبثق ممران شبه متوازيين يؤدى أحدهما إلى المطبخ الذى نجد به بدوره بابين أحدهما يؤدى للحمام والآخر لمخزن المأكولات (وغرفة المخزن أكبر بقليل من غرفة الحمام)، أما الممر الآخر الذى يأخذ شكلا دائريا فيؤدى للحمام الرئيسى وغرفة العجوز. لقد تحقق فى أحد الأعمال الحديثة، لفيلم آخر، أن وجود ممرين قصيرين يثيران القلق أكثر من وجود ممر واحد طويل.على الصرافة أن تقرر فى أى الممرين ستبحث اولا، مثل شخصية أحدى قصص الحوريات، عندما وجدت نفسها داخل غابة، كان عليها أن تختار بين طريقين مختلفين. وبالإضافة لذلك، وبينما هى موجودة فى إحد الممرين تبحث عن شىء ذى قيمة، يشكل لها الممر الآخر تهديدا متوازيا.

الفكرة نالت الإعجاب، ليس فقط بسبب جودتها الموضوعية، وإنما أيضا لأن خوليو استطاع تقديمها بكفاءة. وبمجرد أن تعهد بالانتهاء من التصميم خلال أسبوع، انتهى الاجتماع. ومع ذلك، تأخر هو قليلا مع السا، مديرة الصوت، التى عمل معها قبل ذلك فى أحد الأفلام وكانت أرضية الديكور تخشخش مع حركة الممثلين.

- الأرضية كانت تشتكى أكثر من الغابة المحروقة - قالت هى.

- استخدموا خشبا رخيصا جدا - برهن خوليو - كانت مشكلة إنتاج، ليست مشكلتى.

بينما كانا يتحدثان، كان خوليو يتأمل المرأة خفية، بالإصرار الذى

يجعله يكتشف قطعة ديكور عندما يريد كشف سرها. كان مقتنعا تماما أن جودة الديكور تأتى فى أغلب الأحيان من نقصان يمكن رؤيته بالكاد، لكنه قادر على إثارة حركة غريبة وغير مدركة فى روح المشاهد. كانت إلسا امرأة بلا مغزى، يمكن الدخول إليها من باب سرى، هذا الباب على مسافة ما منها. خطر بباله حينئذ صورة الباب لأنه شاهد منذ قليل بعض العمال، فى بعض الأعمال التى كانت تجرى فى مبنى بوسط البلد، يبنون ممرا سريا خلف حائط من الطوب. كان عبارة عن مبنى متواضع وجدوا تحته كنزا أثريا. إلسا تخبىء ايضا تحت هذه الهيئة السوقية كنزا أثريا، وخوليو يعتقد أنه أكتشف الممر الذى يدخله إليه. حدث هذا الاكتشاف فى لحظة ما أثناء اجتماع العمل عندما التقت نظراتهما وتجمد الزمن خلال عشر ثانية. لم يتجمد الزمن وحده، وإنما حدث وهج فى داخل عقله ملأ الواقع بهالة بيضاء شديدة الكثافة حتى جعلت الأجساد التى تحيط بالترابيزة تتحول إلى أشباح ، مثلما حدث له عندما عبر الطريق مع الطفل الأعمى فى طفولته، ومثلما حدث له من فترة قريبة عندما تحول إلى جاره. وذات مرة، منذ فترة عندما كان فى زيارة طبيب، قرأ مقالا حول الصرع، وكان المقال يصف أعراضا مشابهة. كان كاتب المقال يشير إلى الأعراض على انها " هالة " تسبق النوبة، لكن خوليو لم يكن مريضا بالصرع.

لقد اكتشف، مؤخرا، الممر السرى الذى يفضى به إلى منطقة إلسا السرية، مديرة الصوت. لذا فخوليو الآن، بينما يتحدث معها، يلاحظ جسدها إجمالا، ويفصص هذا الجسد جزءا جزءا، ويندهش من أنه لم يلتفت قبل ذلك لهذه الاشكال الرائعة، المختبئة دوما تحت ملابس سوداء. كانت عينا السا، الضيقتان بشكل مبالغ فيه، تركزان فى المتحدث كخرمى إبرة، وحتى ولو كانت شفتاها رقيقتين، إلا أن عينيها كانتا لا تنقلان الهيئة القاسية المرتبطة بهذه المزية. ومن بعيد، تبدو كعلامة، وربما كخرق كبير مفتوح فى قشر الواقع. ولولا مفاتيح شقة مانويل،

التى يمكن ملاحظة حجمها من الجيب بصفتها وعدا، وإحساسه بالذنب الذى يثيره النظر بهذه الطريقة لسيدة بينما زوجته حبلى، لأطال الحديث، لأنه اكتشف للتو أنها ليست المرة الاولى التى تتعلل فيها مديرة الصوت بحجة العمل لتصطحبه.

■■■

عندما وصل خوليو إلى مدخل بيته كانت الساعة العشرون (هكذا قال بهذه اللفظة) ولم تصل لاورا حتى وصلت الساعة الثانية والعشرين، حيث إن ورديتها هذا الاسبوع كانت بعد الظهر. أفرغ صندوق البريد الخاص بمانويل، وركب المصعد بالمظروفات فى يد وفى اليد الأخرى مفاتيح الشقة ، ضغط على زر الطابق الثالث، وترك نفسه يصعد مع هذا الصندوق. عندما وصل للدور الثالث، هبط من المصعد، وبدلا من أن يتوجه لشقته، توجه إلى الشقة المجاورة، فتح بابها وأغلقه بعد أن تخطى العتبة.

لو كان خوليو مربوا، لاحتاج إلى بخاخة لتوسيع الشعب الهوائية، فعندما وجد نفسه كلية داخل هذه الفقاعة التى لن يخطر فى بال أحد أن يبحث عنه فيها، انقبض جهازه التنفسى بسبب الإثارة أو الخوف، وأجبرت الغدد الكظرية على رفع الجرعة الإضافية من الأدرينالين فى الدورة الدموية (بهذه الطريقة أيضا شرح لنفسه تكدس الإحساسات الجسدية التى شعر بها فى مواجهته قبل أن يخطو الخطوة الأولى بعد دخوله شقة مانويل). وبشكل لا يمكن تجنبه تذكر الشابة الصرافة فى الفيلم لحظة اختراقها شقة العجوز، لكن هنا لا توجد أى عجوز ميتة فى الصالون. لم يوجد أحد، سواه ، سوى خوليو، الذى بمجرد أن تحقق أن

كل الأشياء التى تقع فى شقته على اليسار تقع هنا على اليمين، انتابه شعور بأنه فى الجانب الآخر من المرآة. هذا الموقف ذكره باليوم الذى بدل فيه مع لاورا مكان نومه المعتاد فى السرير، وانتبه بدهشة أن جسده وجسد زوجته مركبان من جانبين.

وبالرغم من أن الجو كان ليلا، إلا أنه فضل ألا يشعل أى نور حتى يتجنب انتباه أحد الجيران لوجود أحد داخل هذه الشقة التى هى نظريا خالية. وعندما تعودت عيناه على الاضاءة المنبثقة من الخارج، فكر أن مطبخ جاره ومطبخه، الذى يفصل بينهما جدار رقيق، كانا يحتفظان فيما بينهما بعلاقة فراغ تشبه تلك العلاقة التى تربط توءمين من الظهر. كانت غرفة الحمام والغرفتان الاخريان تخضع لنفس قانون الإنعكاس بخضوع مدهش. وبما أنه مولع بالمعمار، كان يعرف أن هذا التخطيط الجيد له أساس اقتصادى، حيث انه كان محددا بوجود توصيلة عامة ومصرفين مشتركين للمبنى بأكمله. فلو كان لكل شقة مطبخ وغرفة حمام فى مكان مختلف، لوجب عليه مضاعفة المدخل للبنية الأساسية وبالتالى زيادة النفقات. فكر خوليو فى وسط الظلمة التى تسود فى شقة مانويل أن الله أيضا كان محددا بنفس المنطق الاقتصادى. فالعضو الجنسى يوجد بالقرب من البالوعة ويقتسم نفس المصرف مع البول لمسألة اقتصادية. فقد كان يستطيع أن يجعل هذا العضو فى الظهر مثلا، حيث توجد مساحة أكبر من الفراغ، لكن فى حالة تغيير التوصيلة، سيكلف المبنى كثيرا. الله والمهندسون لم يراقبوا المنتج النهائى، الذى كان تابعا لتفكير اقتصادى يتجاوزهم. ومن هنا فإن الشقة فى حالتها الأخيرة صورة من الجسد البشرى وبالتالى من الفراغ الذهنى. دائما عرف هذا، لكن ليس بهذه الكثافة ولا بهذه الدرجة من الذنب التى ظهرت بوضوح فى هذه اللحظة، حيث هاجمته فكرة أن تجول هذه الشقة سرا لا يختلف عن السير داخل رأس صديقه. ربما يشعر مانويل، الراقد الآن فى سرير المستشفى، بخطوات خوليو داخل

جمجمته. ربما، عندما يطأ منطقة أو أخرى فى هذه الشقة، سينعش أماكن مختلفة فى مخ صديقه، بنفس الطريقة عندما يدلك منطقة أو أخرى فى باطن القدم، تنتعش منطقة أو أخرى فى الجسد، كما ترى لاورا.

يحتوى صالون مانويل على الأشياء الخاصة التى قدرها خوليو فى المرات القليلة التى دخل فيها الشقة. ففى المكان الذى وضع فيه هو ولاورا أنتريها تقليديا، جهزه مانويل ليكون مكانا للقراءة، سماع الموسيقى، مشاهدة التلفاز. أما الأثاث، النادر والغامض، فلم يكن يحيط بالتلفاز، ذى الشاشة المسطحة، رافضا بذلك أن يكون التلفاز هو المركز. كانت هناك عارضة من النحاس تقع فوق حائط المطبخ الأمريكى علق فيها مقالى ومغرفات، عكست ضوءا فى وسط الظلام جاء عبر النافذة عند عبور سيارة إسعاف فى الشارع. كانت العارضة ينقصها ستارة.

هذا هو الجزء الوحيد الذى يعرفه فى بيت مانويل، حيث لم يكن مدعوا أبدا ليذهب إلى أكثر من الصالون. وعندما عبر الممر وصل إلى الباب الأول، الذى فتحه ببطء كما لو كان خائفا من إيقاظ احد. فى هذه الغرفة ميز السرير (الذى هو فى الحقيقة، فوتيه فوق منصة خشبية) وكرسى بمسند للقراءة. وهنا، بدا له أنه سمع صوت المصعد عندما توقف فى هذا الطابق. وفى الحال سمع فتح وغلق شقته الخاصة وبعد ذلك وصله، بنقاء مدهش، صوت كعب حذاء لاورا على طول الممر. لم تكن ساعة عودتها، لكنها جاءت مبكرا لسبب ما. خوليو، متحركا بكل حذر من مكان إلى آخر، توجه حتى آخر الممر وفتح محترسا الغرفة التى جعلها مانويل غرفة عمل. وبالرغم من أنه كاتب بلا إنتاج، أو ربما لهذا السبب، كان فى حاجة إلى مكان به كمبيوتر غير المكان الذى يكتب فيه. ومن خلال نافذة هذه الغرفة كانت ترى، من الجانب الآخر للممر، نافذة غرفة العمل

الخاصة بخوليو، التى من المفترض أن بابها مفتوح، حيث يمر بها بصيص ضوء منبعث من الممر. هكذا كان خوليو، يرى مغيبا غرفته الخاصة من الجانب الآخر، عندما أضيئت فجأة ودخلت لاورا فى المشهد، حيث دخلت لتأخذ شيئا من الدولاب الموجود به ملاءات السرير والفوط. وقبل أن تخرج من الغرفة، وقفت لاورا أمام النافذة وأطلت عدة لحظات على غرفة جارهما. استدارت بعد ذلك، أطفأت النور وخرجت. أما خوليو، الذى حبس أنفاسه، فقد تنفس الصعداء من رئتيه وعاد لخطواته.

قرر أن يخرج بحذر من البيت، وأن يهبط درجات السلم على قدميه وأن يأخذ المصعد فى الصعود كما لو كان قد وصل فى التو من الشارع. قرر أيضا أن يخفى على لاورا أمر امتلاكه لمفاتيح شقة مانويل. سيخبرها فقط أن والد مانويل قد سلمه مفتاح صندوق البريد ليتجنب تكدس الخطابات بداخله. وفعل هذا بالفعل. خرج بحذر من الشقة، أغلق الباب متحكما فى حركة القفل، حتى لا يحدث صوتا ، هبط درجات السلم على أطراف أصابعه، وانتبه حينئذ أنه مازال يمسك، بين يديه الغارقتين فى العرق بسبب الضغط، خطابات مانويل التى أخذها عند وصوله مدخل العمارة. وقبل أن يركب المصعد، فصل مفاتيح صندوق البريد عن مفاتيح الشقة وأخفى مفاتيح الشقة فى جيبه.

عندما دخل البيت، قالت له لاورا إنها قد جاءت من العمل مبكرا لأنها شعرت بالتعب وذكرته أن اليوم التالى، فى اول ساعة من الصباح، موعدها مع طبيب أمراض النساء، لو أراد مرافقتها.

. وما كل هذه الخطابات؟ . أضافت وهى تشير بنظرتها لحزمة الخطابات التى جاء بها خوليو فى يده.

. إنها خطابات مانويل . أجاب خوليو .. أعطانى أبوه مفتاح الصندوق البريدى حتى لا يمتلىء.

ـ أتمنى لو أتعرف عليه.

ـ لن يكون ممكنا تحقيق هذه الزيارة. لقد عاد إلى الصين ـ أجابها خوليو مخبرها أنه سيترك مفتاح هذا الصندوق فى أثاث مدخل الشقة، حتى يقوم أى منهما بتفريغه دوريا.

■■■

كانت صالة الاستقبال بعيادة طبيب أمراض النساء كبيرة ومستطيلة. خمن خوليو أن السبب فى ذلك يرجع إلى ضم غرفتين بحجمين مختلفين بعد إلغاء الجدار الفاصل بينهما. وقد تبقى من الوضع القديم حلى من الجير فى السقف ورسمة الباركيه ووضع المصابيح. خطرت فى ذهنه من جديد صورة توءم ملتصق من ظهره، وسأل نفسه ماذا سيحدث لو فصلناه من الظهر، الذى هو الجدار، وجعلنا القفصين الصدريين قفصا واحدا. ربما سيصيران شخصين كما هما، وهو نفس الشىء بالنسبة لصالة الاستقبال، فبالرغم من المجهود الكبير الذى بذله مهندس الديكور، إلا أنهما ظلا غرفتين. جلس فى ركن به مكتبة غامقة وكبيرة ، مليئة بالكتب المغلفة بالجلد. باقى الحوائط كانت مغطاة برسومات بها توقيعات معروفة. وفى آخر الصالة، فى الطرف المواجه له، فوق رف مدخنة من المرمر ، كانت توجد ساعة حائط كبيرة ذات لولب، فى كرته كان ينبسط عنصر أسطورى. كانت العقارب متوقفة عند الساعة العاشرة وعشرة.

كان الضوء ، الذى غربلته الستائر الشفافة المحمية بدورها بستائر أخرى سميكة، يصل إلى الداخل من خلال ثلاث نوافذ كبيرة لكل منها مصراعان ، وتطل على الشارع الرئيسى. كانت الصالة مقسمة إلى عدة أجزاء يفصل بينها حواجز من الخشب المدهون بمادة اللاكيه ومطعم

بالعاج. وفوق الترابيزة، أيضا ذات الطابع الشرقى، كانت توجد كتب عن الفن ومجلات طبية. كان الجو عامة أشبه بمكتبة أو ناد للصفوة أكثر منه صالة انتظار عند طبيب.

بينما كان فى انتظار لاورا، التى فضلت الدخول للاستشارة بمفردها، قوّم خوليو الديكور، حيث بدا له شبه زائد عن اللازم، لكنه كاشف عن ذوق يتمتع صاحبه بكثير من الرضى. كان أيضا ديكورا مؤثرا من حيث أنه يهب الأمن للمرضى. فعندما يجلس الواحد منا محاطا بهذه الأشياء، متعانقا بهذه الكراسى ذوى المساند ، ومغلفا بنفس الجو الخالد مثلها، أبدا لن يصيبه مكروه. وفى الترقيم من واحد لعشرة، وضعوا له رقم سبعة، أو ربما سبعة ونصف. ومن المدهش، ربما بسبب الوقت الذى أتى فيه (كانت التاسعة صباحا)، وجد نفسه وحيدا فى العيادة.

فضلت لاورا المجىء لهذا الطبيب الذى نصحها به زملاء العمل حيث نال بعض الشهرة فى ممارسة الولادة بلا ألم ، بالرغم من أن خوليو بمجرد سماع خبر الحمل كان من أنصار استخدام خدمات التأمين الصحى (ولم يكن من أنصار استخدام حقنة الظهر المخدرة). قام هذا الطبيب بتوليد النساء جالسات، بدلا منهن راقدات، فوق نوع من الكراسى بلا مقعد ليحصل بذلك على استغلال أعلى درجة من الجاذبية الأرضية.

وبما أن لاورا قد تأخرت، نهض وألقى نظرة على عناوين الكتب. كان يوجد قسم خاص بالأدب الكلاسيكى وقسم آخر خاص بالطب. أثار فضوله كتاب من النوع الثانى، عنوانه " الرحم باعتباره مسكنا " فمد يده وأخرجه من بين الكتب وتأمله بدهشة حيث لم يكن سوى قطعة من الخشب ملفوفة بقطعة من الجلد ربما تكون أيضا صناعية. بعد أن تحقق أن أحدا لم ينتبه له، أعاد الكتاب المزيف فى مكانه وجلس مرة أخرى فى حيرة. بعد مضى عدة دقائق، نهض من مكانه بحذر وذهب حتى المدخنة، أطل من فتحتها متحققا أنها عبارة عن مدخنة مزيفة

ربما، حدث نفسه، تكون المرضة التى فتحت له الباب والطبيب نفسه مدعيين المهنة. وبالرغم من أنه كان يعلم أنها فكرة سفسطائية، إلا أنه لم يستطع أن يكف عن سؤال نفسه : حتى أين يمكن الكذب بدون ارتكاب جريمة.فلو كان مباحا وضع الكتب المزيفة والمداخن المزيفة (والله يعلم بالاشياء الأخرى المزيفة بهذه الغرفة) فما هو الالتزام الذى يجبر الطبيب ليكون طبيب أمراض نساء حقيقيا. وبنفس الشكل السفسطائى سأل نفسه حينئذ هل لاورا حقا مريضة ، فجاءه الجواب منها بعد أن خرجت بقليل، حيث أخبرته أنها ليست حبلى.

- كيف ذلك؟ إنك قد أجريت التحاليل.

- إنها من تلك التحاليل التى تجرى فى الصيدليات، وغالبا ما تأتى النسبة الأعلى خاطئة - أجابته بنهنهة بكاء.

بقى خوليو فى حيرة من أمره. لقد عاش فى الأوهام وتخيل الطفل يلعب معه، يتقافز على ركبتيه، يحتصنه بذراعيه، يسير به فى الحديقة، يساعده فى الورشة الخيالية، الخاصة به، حيث يدير تشييد الديكورات التى يصممها للسينما. لم يتجرأ ابدا على تشييد هذه الورشة فى الواقع حيث أنه مشروع فى حاجة إلى كثير من المال وبه الكثير من المخاطر، لكن فكرة أن يكون له ابن، شحنته بالقوة والتفاؤل. تذكر حينئذ الكتاب المزيف، المدخنة المزيفة،المرضة المزيفة، الطبيب المزيف، وأضاف للقائمة ابنه وابن لاورا المزيف. وجدا نفسيهما فى منتصف الشارع، يحمل كل منهما خوذته فوق رأسه. عرض خوليو عليها أن يوصلها للعمل، لكنها رفضت. كانت تفضل الذهاب فى الاوتوبيس أو المترو.كان عاجزا عن أن يسلى زوجته، فربما هو، اكثر منها هى، فى حاجة لهذه السلوى. ظل يراقبها بنظره حتى ابتعدت ودخلت فى شارع ملىء بالأشجار يشبه الديكور المسرحى.

ركب الموتوسيكل وعاد إلى البيت ليعمل، بالرغم من أنه بمجرد وصوله هناك، لم تتركه، ليركز، فكرة أن يدخل شقة مانويل.

■■■

كان لدى خوليو برنامج كمبيوتر يقوم بتصميم المناظر الداخلية ببساطة، لكنه كان يستمتع أكثر بتشييد ماكيتات الكرتون بيديه. كان العمل بيديه يهبه طمأنينة روحية لم يكن يتحصل عليها من أى نشاط آخر. لقد تعود على معاملة الكرتون كما لو كان صلصالا. وعندما كان يحتاج أن يتخذ منها أشكالا تتعارض مع طبيعتها البلاستيكية ، كان يبلل، مثل الفخارى، أطراف أصابعه، ويحصل بذلك على أشكال رائعة. وبهذه الطريقة استطاع أن يحول ممرى بيت السيدة العجوز ، فى فيلم الصرافة، إلى شكلين دائريين، وهو ما أعطى للبيت جوا مليئاً بالحياة.

كان ماكيت البيت ينقصه السقف، وكان موضوعا فوق ترابيزة العمل التى يدور حولها خوليو ليضيف أو ليقتطع أجزاء.عند رؤيتها من أعلى، كانت تكفى نظرة واحدة لينتبه وبشكل غامض (وفى الغموض يكمن تأثيرها) إلى أنها مصيدة أكثر منها بيتا. لقد وضع فى كل غرفة أثاثا قليلا من الكرتون المكور، المخطط بشكل جيد، الذى يكفيه لمسة واحدة من الاكليريك ليعطيه جوا واقعيا بشكل استثنائى. لم يكن من الصعب تخيل الصرافة تقتحم هذا البيت، الذى لم يكن بيتها، مثل الفيروس الذى يقتحم جسدا ميتا. كان بوسع خوليو أن يراها واقفة فى وسط الصالون، متأملة، فى حيرة، جسد السيدة العجوز فوق الكنبة، أمام

التلفاز المشتعل. فى بعض الاحيان، كان يصنع صورا صغيرة من الصلصال، لكنه لم يعرضها دائما على العملاء، حيث لاحظ أنها تثير فيهم قلقا زائدا. كانوا يضحكون، مذهولين، عند رؤية العمل، لكنها كانت ضحكة مضطربة.

بعد أن تتوقف عدة لحظات أمام الجثة، تصل الصرافة إلى طرف الصالون وتتردد فى أى الممرين تسير، فى أى من هذين الشكلين الدائريين عليها أن تدخل. كان كل منهما ينتهى بخلفية يمكن الرجوع منها، بالرغم من أن جزءا من الممرين يبقى مرتبطا بالخلفية. تقتحم الصرافة الممر الخطأ لتمنح الوقت للمشاهد ليعرف أنها دخلت بيتا ليس ملكها بدون أن تنتبه هى أنها تشكل جزءا من هذه العملية المتوترة. يجب أن تثير الفتاة فى المشاهد صورة فكرة منطلقة داخل رأس فارغة.

وبقدر ما كان يلصق الجدر الكرتونية بالصمغ ويفتح الابواب والنوافذ المناسبة بسكين صغيرة، كان يتخيل نفسه مقتحما من جديد شقة مانويل. منذ دخلها، وكلما تحرك فى شقته الخاصة، يشعر أن نسخة غير مرئية من نفسه تقوم بنفس الحركات فى الشقة المجاورة. كلما مال برأسه ليأخذ أنبوبة صمغ قد وقعت على الارض، كان شبحه ينحنى أيضا فى بيت مانويل ليأخذ بأصابعه أنبوبة صمغ وهمية. وعندما كان يتجه لغرفة الحمام، كان ظل منه يتجه لغرفة حمام شقة مانويل. معتادا على تحويل الأماكن الهندسية إلى ماكيتات، كان بإمكانه رؤية الشقتين بخياله، ملتصقتين الواحدة بجانب الأخرى كجزءين من مرآة ذات وجهين. وكان هذا ظاهرا بشكل قاطع فى كلا المكانين.

لم يستطع العمل بالماكيت والانشغال بأفكاره أن يقصيا عنه الاضطراب الناتج عن خبر حمل لاورا المزيف. كان يتمنى هذا الطفل. أحيانا كان يستيقظ فى عز الليل ويشعر بقشعريرة تسرى فى جسده أمام فكرة أن يصير عجوزا بلا ذرية. ربما قام مانويل مقام الابن خلال الفترة الاخيرة، لكن ماذا لو لم يعاف مانويل من غيبوبته ، سيظل يتبادل

النظرات مع لاورا بلا وسيط بينهما، يتحدثان بلا وسيط، يديران صمتهما ومحادثتهما وشكاواهما بلا وسيط. ربما قد يفهم من ذلك أنه قد كف عن حبه لـ لاورا وأنه فى حاجة لوجود عامل خارجى ليملأ هذا الفراغ. لكن الامر ليس كذلك. بل على العكس تماما، إن وجود الرغبة فى إنجاب طفل تشبه محطة داخل مشروع حبهما. لقد بلغ الخامسة والثلاثين عاما وهى الرابعة والثلاثين. يعيشان معا منذ عشر سنوات، وتزوجا فى الأربع سنوات الأخيرة. والأمر المنطقى، فكر، هو أن يظهر شىء ملموس ليظلا ينظران إليه، ولم يكن هذا الشىء إلا الطفل. هكذا كانت الحياة !.

كانت رائحة الصمغ، مختلطة بهمومه التى تتحرك داخل رأسه من جانب لآخر مثل الصرافة التى تتحرك من مكان لمكان داخل بيت العجوز، تؤدى لتصببه عرقا ، كأنه مغشى عليه. فتح النافذة وأطل على الفناء الداخلى. كانت هناك أحبال غسيل تخرج من شقته وتصل حتى شقة مانويل، ثم تعود مرة أخرى له. كان كل جارين يقتسمان لعبة المنشر هذه. تذكر لاورا، حيث أخذت فى اليوم التالى لحادثة مانويل ملابسه المنشورة لتجف. وفجأة، تساءل أين وضعتها، وبعد بحث دقيق، وجدها بكل دهشة مختلطة بملابس زوجته. كانت ملابسه المنشورة عبارة عن لباسين داخليين وأربعة أزواج من الجوارب وقميص.

عبر برأسه وسواس، كبحه فى الحال، كاد يدفعه لتجربة الملابس. لكنه لم يستطع، مع ذلك، أن يكبح الوسواس الذى يدفعه لأخذ المفاتيح والعودة إلى بيت مانويل. بعد أن اطمأن أن لا حركة تحدث على السلم، فتح الباب واخترق شقة جاره. كان يستطيع أن يرى نفسه من أعلى، كما لو كانت الشقة ماكيتا وهو عروسة متحركة، إنسان آلى. كانت شقة مانويل، فى ضوء النهار، باعثة للطمأنينة أكثر منها بالليل. ولأنه لم يكن ينتظر رؤية شىء جديد فى الصالون، فقد اخترق المنطقة الحميمة، وتجاوز غرفة النوم ، الواقعة على يسار الممر ، وتوجه إلى غرفة

الدراسة الواقع بابها فى آخر الممر، على اليمين قليلا. ومثل غرفته، كان بالغرفة ترابيزة للكمبيوتر، مسنودة على حائط النافذة التى تطل على الممر. كانت الحوائط مغطاة بالأرفف الممتلئة بالكتب المرصوصة، والأرضية أيضا ، سواء كانت الكتب فى شكل أعمدة أو ملقاة بعشوائية. ولأن الشعور بالجنون قد وصل مداه، ترك الغرفة فى الحال، وفى العودة، دخل غرفة النوم التى يشغلها سرير خشبى تعلوه مرتبة.على كلا جانبى رأس السرير، على الارضية، كانت هناك أعمدة من الكتب فى شكل طرق. بالإضافة للسرير، لم يوجد فى غرفة النوم سوى كرسى من طراز قديم ذى مسند، فكر أنه للقراءة. بعد حركة من الحيرة، خلع خوليو الحذاء ونام، بتوجس، على سرير مانويل، فى وضع الميت. فى الجانب الآخر من الحائط، على امتداد حائط جاره، كان يوجد سريره هو ولاورا. حاول أن يفكر فى مشاكله من وجهة نظر مانويل، لكن مانويل ينتمى لنظام منطقى آخر. فلم يكن يشغل نفسه، على سبيل المثال، بالعمل.حاول أن يتخيل كيف يمكن أن تصير الحياة بلا عمل، وخطر على باله هذا التعبير، الذى تردد على سمعه كثيرا، " فم به ملعقة من ذهب ". كان يوجد فرق شاسع بين أن تعمل لتعيش وبين أن تهبك الحياة ملعقة من ذهب. تخيل نفسه بلا ديون للبنك بسبب الشقة التى يقيم بها، وبلا اختناقات اقتصادية، مكرسا جهده حصريا للتفكير فيما لو كان الرجال يضاجعون أمهاتهم عندما يضاجعون زوجاتهم أم لا... فكر فى والد مانويل (هل يعمل السفير؟) الذى ربما كان ميلاد ابنه هدية له. ربما لو ولد خوليو نفسه بملعقة من ذهب فى فمه، لكرس وقته لتشييد الماكيتات ليستمتع بتشييدها. ربما كان سيؤسس متحفا كبيرا جدا للماكيتات بحيث يدخله الزائرون ويلعبون دور عرائس الديكور الضخمة، حيث نجد داخله عيادات أمراض نساء ومحلات بقالة كبيرة وبيوت تسكنها سيدات عجائز يعشن ويمتن بمفردهن، ويتركن التلفاز مشتعلا، كذلك نجد بيوتا للمتزوجين وأخرى للعزاب وأديرة للراهبين والراهبات... إن ما كان يتطلع إليه فى الواقع هو إعادة نسخ الحياة بنفس شكل الحياة، ومن

هنا، فكر، يأتى الاحتياج لإبن.

ومن بين الأفكار التى كانت تتجول داخل رأسه بعشوائية، ظهرت بغتة صورة إلسا، مديرة الصوت. لقد حاول فى بعض المرات، بكل فشل، أن يتذكر وجهها، ملامحها، نظرتها. والآن يراها داخل نفسه بكل وضوح، نفس الوضوح الذى يرى به صورة فى ألبوم. كانت عبارة عن صورة ابيض واسود، لكن إلسا كانت أيضا، فكر، امرأة ابيض واسود بشكل ما. وعلى نفس الصورة قرب الكاميرا ببطء فى حلم استيقظ منه فى الحال على صوت هاتف مفاجىء. فتح خوليو عينيه واستوى فى مجلسه وهبط من السرير بدون أن يتذكر أين هو ولا من يكون. كانت دقات الهاتف تبدو قادمة من مكان آخر، كما لو كان موجودا فى عالم الأموات لكنه قادر على سماع دقات قادمة من عالم الاحياء. أو كما لو كان موجودا فى بيت ما لكنه قادر على سماع الاحداث التى تدور فى البيت المجاور. عند الدقة السابعة ظهر الانسر ماشين وسمع صوت مانويل يطلب من المتصل أن يترك رسالة. وصلت روح خوليو إلى الحلقوم وهو يعد الثوانى التى تأخر فيها المتصل فى وضع السماعة بدون أن يقول شيئا. إن كونه لم يتوقع أن يدق الهاتف فى هذا البيت الخالى، سبب له حالة من الاستغراب تأخر فى استعادة نفسه منها.

■■■

سلم خوليو، بعد أيام قليلة، ماكيت الفيلم بالتفاصيل المعتادة، وكلفته المنتجة بإنجازه. بعد ذلك جاء الكريسماس ، الذى لم يكن خوليو ولا لاورا يعيان به، فكل ما كان يحيط بهما كان يبدو لهما أنه يحدث فى مكان آخر، بالرغم من أن بقاياه كانت تصل إليهما مثل ضجيج بيت جار يتسرب إلى بيتهما من خلال الجدار. كانت حياتهما تتدهور بصوت مكتوم، حيث أن كلا منهما كان يطلق النار على الآخر (وربما على نفسه) بدون مناقشات ولا عتاب، ولم يكن هذا أقل ضررا من عمليات الفساد المعتادة. كانا يتعاملان فقط بالليل، بينما يتعشيان أمام التلفاز، متبادلين الاخبار اليومية بنبرة صوت روتينية مضيفين إليها كل يوم إجراءات جديدة.

كانت هى التى تذهب للسرير أولا وتتصنع النوم عندما يقترب هو لينام، طبقا لبنود اتفاقية ضمنية. كل منهما يعطى ظهره للاخر، فى وضع معمارى شبيه بوضع شقته وشقة مانويل ، بالرغم من أنه ينقصهما غرفة تطل على فناء داخلى مشترك. كان خوليو يتساءل كم من الوقت يستطيع تحمل الحياة بهذا الشكل، وكان يتوهم أحيانا بإمكانية طرح الانفصال كأحد الحلول، بالرغم من أنه سريعا، عندما يفترض كم المشاكل الروتينية التى عليه أن يواجهها، كان يفيق من وهمه. كان لا

يجهل أن المشاكل العملية مقيدة حتى لا يفكر فى المشاكل العاطفية، حيث إنه حقا عندما يرى نفسه خارجا من البيت متجها لأى مكان، كان يشعر أنه يعانى من الهجر متخيلا نفسه بين أحضان السا، مديرة الصوت، التى تغيب عنه صورتها باستمرار.

لقد انقطعا عن الذهاب سويا لزيارة مانويل فى المستشفى، لكنهما اليوم، يوم رأس السنة، ذهبا معا. أدهشهما التناقض بين حالتهما النفسية والحالة هناك، حيث كان الطابق مزينا بزينة عيد الكريسماس وكان يسود بين طاقم المستشفى جو العيد الذى حاولوا إخفاءه امام الزوار. اصطحبتهما حتى باب غرفة جارهما ممرضة ثملة بعض الشىء وأكدت لهما أن المريض نائم مثل الاطفال. تبادلت لاورا مع خوليو نظرة غير معبرة ووجها نظرهما للمريض، فى محاولة لإدراك سر وجود صديقهما وغيابه فى نفس الوقت. تأملاه كما لو كان جسده شرخا جعلهما يطلان على الفراغ الذى تركه فى حياتهما.

وفى هذه اللحظات، دخل طبيب يرتدى بالطو أبيض ويضع على رأسه طرطور بابا نويل ، حياهما بالسلام وتوجه للمريض، فتح حفنيه، نظر لحدقتى عينيه تحت ضوء الكشاف، وسجل شيئا فى كراسته. وقبل أن يخرج من الغرفة، وضع الطرطور على رأس المريض.، وعاد إلى الزوار ليحصل على موافقة لم ينلها، فعاد بالتالى إلى المريض ورفع الطرطور بتعبير محرج. ولانه قد نكش شعره، اقتربت لاورا ومررت يدها على رأس مانويل ومشطته بتلقائية أزعجت خوليو.

- ألا يمكن فعل شىء آخر غير الانتظار؟ - سألت لاورا لتكسر الصمت.

- لا شىء، إعطاء الهيدراتات له والوقاية من العدوى - أجابتها الممرضة بسرور سخيف.

عندما تركا المستشفى واستعدا للذهاب إلى بيت والد خوليو، حيث قد تلقيا دعوة للعشاء، تعللت لاورا بأنها متعبة وتفضل أن تتراجع.

- اذهب أنت للعشاء واعتذر لأبيك نيابة عنى.

- لكن كيف ستبقين وحدك يوم رأس السنة؟

- لا تقل حماقات، أنت تعرف أنه يوم ككل الايام.

وافق خوليو حتى لايثير مشاجرة، شريطة أن تسمح له أن يوصلها للبيت، حيث إن التاكسيات كانت قليلة جدا فى هذا الوقت الذى اقترب من ساعة العشاء العائلى. كانت الاوتوبيسات تأتى بانتظام، لكن الناس الذين كانوا يركبون بداخلها كانوا يشعرون أنهم ذاهبون جميعا إلى مثواهم الأخير.

عبرا المدينة فوق الموتوسيكل كما لو كانا يتحركان داخل ديكور غير واقعى. هما نفسيهما، بالنسبة لمن يراهما يعبران فى وسط الليل فوق هذه الماكينة ، يعدان شيئا غير واقعى. كان الليل نظيفا وأزرق، كعادة الأيام شديدة البرودة فى فصل الشتاء فى المدن الجافة.

بعد أن توقف الموتوسيكل أمام مدخل بيتهما، هبطت لاورا وودعت خوليو. كان زجاج الخوذة مبللا بالبخار، وبالتالى كان من الصعب تمييز ملامح وجهها.

- يجب أن تمسحى الخوذة بمسحوق مزيل للبخار - قال خوليو محاولا أن يبتسم ؛ كان دائما يقول نفس الشىء.

قامت هى بحركة وداع بيدها وذابت فى المدخل.

أدار خوليو الموتوسيكل فى اتجاه آخر واستعد لعبور المدينة. كان أبوه يعيش فى حى ناء، يحيطه الخلاء، ألقى المجلس المحلى ملحا على نواصيه منذ الصباح الباكر لتجنب تشكيل قشور ثلجية. كان يقود الموتوسيكل بسرعة، بجسد ملتصق به، حتى يختبىء وراء حاجز الهواء، حيث أن البرد، بالرغم من النسيج الخاص لثوبه، يخترق جلده. مضى يعد أعمدة الإنارة التى قابلته فى طريقه، متوقفا كل أربعة أعمدة وقفة صغيرة، كما لو كان ينظم شعرا: واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة ، خمسة،

ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة، أحد عشر، اثنا عشر... عندما وصل لهذا العدد، عاد للبداية. عد أربع سلاسل من الأعمدة (أربعة وثمانون عمودا) ، وسلسلتين من الأشجار (اربع وعشرون شجرة) وثلاث سلاسل من حاويات القمامة (ست وثلاثون حاوية). وعندما استعد لعد إشارات المرور، كان قد وصل لبيت أبيه، فخلع الخوذة فى المصعد، ومشط شعره قليلا وفك ثوبه حتى وسطه.

فتحت لويسا الباب، وهى زوجة أبيه، وبإحدى يديها قفاز المطبخ وبالاخرى سيجارة حشيش.

- كنت على وشك أن أطل على الخروف - قالت بعد أن تبادلا القبلات.

سار خوليو خلفها حتى المطبخ، حيث أخرجت الصينية من الفرن وقامت بإيماءة رضى. كان عبارة عن ورك وجزء من الضلع، وفى الوسط كانت هناك الرأس.

- لحمة الرأس من أجل أبيك - قالت - فهى ترعبنى.

- أعرف هذا - أجاب خوليو.

- وأين لاورا؟

- شعرت بالتعب فى اللحظة الاخيرة وقررت البقاء فى البيت

- شىء مؤسف، فمنذ فترة لم نتقابل... أبوك على وشك الانتهاء من إصلاح هندامه. سيظهر بين لحظة وأخرى. ما رأيك فى زوجة أبيك؟ - سألت المرأة رافعة ذراعيها ليقيم خوليو تفصيل ثوبها الاسود، الضيق جدا. ربما أصبح جسدها أكثر نحافة من المرة الأخيرة التى رآها فيها.

- رائعة - قال وهو يقلع ثوب سائق الموتوسيكل ويبحث عن مكان يضع فيه هذا الثوب.

بعد أن وصلت للصالون، قدمت له السيدة سيجارة الحشيش، لكن خوليو رفضها بإيماءة تضمنت، رغما عنه، دور الرقيب.

بعد قليل طرق الباب وظهرت أماندا، ابنة لويسا، وبصحبتها طفلة عمرها ست أو سبع سنوات. كانت أماندا أصغر سنا من خوليو، ولقد صادف مقابلتها فقط في المناسبات العائلية مثل هذه المناسبة التى تجمعهما الليلة. لم تسأله عن زوجته ولم يسألها عن زوجها، الذى لا يتذكر هل رآه قبل ذلك أم لا. قالت أماندا إن طفلتها قد نامت فى السيارة.

- لكنها استيقظت عند ركن السيارة- أضافت.

كانت الطفلة الصغيرة شديدة النحافة، وفى ظاهرها صامتة، وكانت تتحرك من جانب لآخر بدون أن تفصل ذراعيها الملتصقتين بجسدها. شعر خوليو أنها تنظر له بشكل خاص، وبالتالى أطرق رأسه وأعطاها قبلة. بعد أن حيتهم أماندا بالسلام طلبت كأسا، وتناولت مع الرشفة الأولى كبسولة أخرجتها من جيب بنطلونها الجينز المخصص للنقود. كان قماش البنطلون الجينز مطعما بخيط فضى اللون. عندما دخلت لويسا الممر بحثا عن زوجها،الذى تأخر بشكل غريب، وضعت أماندا يدها فوق ذراع خوليو وقالت له، كمن اشتركا فى شىء، إنها قد توصلت مع أمها للاتفاق على ألا يتشاجرا هذه الليلة.

- أتمنى أن يتحقق ذلك - أضافت.

- ولم لا؟- سألها خوليو.

- لأن المشاجرات العائلية فى هذه المناسبات جزء من طبيعة الاشياء.

ظهر فى الحال الأب الذى يحمل نفس اسم الابن. وقد بدا لخوليو أنه اصغر سنا من المرة الاخيرة التى رآه فيها، لكن، لأنه بدا له تقييم سخيف، لم يعلق.

- قالت لى لويسا إن لاورا لم تستطع المجىء - أشار الرجل بإيماءة معارضة ، بعد أن عانق ابنه.

- شعرت أنها متعبة.

- وكيف حال العمل؟

- جيد،انتهيت من إغلاق ماكيت ديكور فيلم. يجب أن أشيد بيتا كاملا داخل نوع من الهناجر الضخمة.

- لقد عملت فى نهاية المطاف ما أعمله أنا.

- لكن بيوتى مزيفة.

- أنت محق.

كان أبو خوليو صاحب مؤسسة تعمل فى المقاولات وقد أفلست ثلاث أو أربع مرات واستطاعت النهوض مرات أخرى كثيرة. وفى أيام متناوبة، حاول الاب إقناع خوليو بدراسة العمارة ليعوضه ما ينقصه ويصير بذلك مقاولا حقيقيا لكن رفض خوليو تسبب فى جرح لم يندمل حتى الآن.

- وكيف حال أمك؟

كان خوليو لا يعرف شيئا عنها منذ بعثتها المنظمة البيئية التى تعمل لأجلها إلى الخارج، لكنه أجاب بأنه حدثها هاتفيا وإنها بصحة جيدة.

- لقد كلفتنى أن أوصل لك سلامها - قال الاب كاذبا.

وبينما كان الكبار يتحدثون، كان خوليو ينظر من آن لاخر للطفلة متحققا بدهشة أنها لا تكف عن النظر إليه من المكان الذى اتخذته بالكنبة. قبل أن يجلسوا للع شاء، نامت الصغيرة فى وضع غريب، غير مريح بعض الشىء. فقررت أماندا حملها بين ذراعيها إلى واحدة من غرف البيت وعادت فى الحال.

فى بداية العشاء كان الحديث ينتقل من موضوع إلى آخر، طبقا للتيار، كما لو كان يبحث عن مرسى. استقر قليلا عندما علقت أماندا أن للأبوين هيئة جميلة.

- الحكاية أننا قمنا بعملية تخسيس وعملية شد وجه - قالت لويسا.

- عملية الشد كانت سرا، سيدتى - أجاب الأب - لقد أهدونا ذلك بمناسبة عيد الكريسماس، لكننا فقط هذبنا هذه المنطقة، لنزيل تجاعيد العين، التى سريعا ما تصيبها التجاعيد. لكن ما أثر بالايجاب على تجديد شبابنا هو قضاء عدة ايام فى الريف، فى واحدة من هذه البيوت الريفية.

وأضاف إن غرفتهما بالدور الارضى كانت تطل على دهليز به غدير محاط بنبات الاسل. عند الاستيقاظ من النوم، كانا يرتديان معطفيهما ويخرجان لسماع غناء ضفدعة لم يستطيعا رؤيتها أبدا. وذات يوم، بالرغم من جهلهما بالأمور الطبيعية، بدا لهما غريبا غناء الضفدعة عند وصولهما وسكوتها عند ذهابهما. حينئذ، زعزعا نبات الاسل واكتشفا جهازا اليكترونيا، وعند اكتشافه، كان الجهاز يعمل منتجا غناء الضفدعة.

- ومن هذه اللحظة - قالت لويسا ضاحكة - لم نعد نثق فى شىء.البيت الريفى، الحقل، حلويات جدتى، خبز الحطب...، كل شىء، بما فيها الريف نفسه، كان يبدو لنا ديكورا.

ربما لأن خوليو كان مهندس ديكور، سبب له تلميح السيدة صمتا غير مريح، لذا كسر الصمت قائلا إنه منذ قليل، كان فى عيادة طبيب فأخذ كتابا من الرف وكان كتابا مزيفا.

- عندها سألت نفسى كيف يكون منطقيا ألا يكون الطبيب مزيفا أيضا.

- فى أى تخصص كان الطبيب؟ - سألت أماندا.

- أمراض النساء.

- وماذا كنت تفعل عند طبيب أمراض النساء؟

- لم يكن لى، كان لزوجتى. كنا نظن أنها حامل، لكن لم تكن كذلك.

- حمل كاذب. من الطبيعى أيضا أن يكون طبيبا مزيفا - قالت لويسا

لكنها هذه المرة أشاعت عدوى الضحك فى الجميع، بمن فيهم خوليو.

- على فكرة - أضاف الأب - الحجر الذى شيد به البيت الريفى كان أيضا اصطناعيا. إنهم يصنعون أحجارا اصطناعية رائعة، لا تصدق أنها مزيفة حتى تلمسها بيديك.

مالت أماندا حينئذ ناحية خوليو، الجالس بجوارها، وقالت له:

- هل تتذكر الطفلة التى جاءت معى؟

- نعم.

- كانت مانيكان.

بعث هذا التعليق الضحك الشديد فى لويسا حتى استوت فى مجلسها لكيلا تشرق. ضحك أيضا أبو خوليو كثيرا.

- لن نتشاجر هذا العام يا أمى.

- هذا العام لا، يا ابنتى.

أدرك خوليو أنه هو الوحيد الذى لم يتعاط المخدر، وبالتالى فقد كان من الصعب المشاركة فى الحوار.

حينئذ صب لنفسه كأس نبيذ وحاول أن يساير الجو. بعد قليل. كما لو كان هذا الجو معديا، شعر خوليو أيضا أنه أكثر تحررا من قيود الواقع وتحمس ليروى حكاية أكد أنها حدثت له فى إحدى الكافتيريات:

- كنت جالسا فى انتظار عميل، عندما سمعت حوارا بين فتاتين لا يتعديان الخامسة عشرة...

- اذا كنا نسمى من ينظر - قاطعته أماندا - بصباصا، كيف نسمى من يتصنت...

- دعيه يكمل - تدخل أبوه

- واحدة منهما - واصل خوليو - كانت تحكى للأخرى حلما قائلة إنها فى العودة من المدرسة للبيت، وجدت أباها متنكرا فى شكل أمها وأمها

فى شكل أبيها. انتبهت فى الحال لهذا الوضع، لكنها لم تتجرأ أن تنبس بكلمة. بعد عدة أيام، وبما أن أبويها ظلا متنكرين، اقترحت الفتاة على أخيها أن يتبادلا الأدوار، بدون أن ينتبه أحد لا الأبوان ولا المدرسون ولا الأصدقاء. وبدأت المراهقة تعشق أعز أصدقاء أخيها، الذى اعتادت عليه فى دورها الجديد اكثر من ذى قبل.. وذات يوم، حتى لا تجد الفتاة عقبات أمامها، اعترفت للصديق أنها فتاة بالرغم من أنها تبدو ولدا، فأجابها الصديق بأنه ايضا فتاة وليس رجلا كما يبدو. " انا متنكرة فى شكل أخى "، أضاف.

- إنها قصة مختلقة - قالت أماندا.

- نعم، انها ليست حقيقية - اعترف خوليو عندما أدرك أن قصته لم تلق نجاحا بالرغم من أنها حركت مشاعره.

و مع ذلك، وبعد أن نظرت لويسا لخوليو عدة لحظات بتعبير مندهش ومسحت شفتيها بالفوطة انفجرت فى القهقهة فانتشرت عدوى الضحك بين الجميع. صب خوليو لنفسه كأس نبيذ أخرى. وعندما التقت نظرته بنظرة أبيه، الذى اتسعت حدقتاه بشكل غير مألوف، تأكد أنها نظرة تحمل فى ثناياها عطفا، فملأه إحساس بالأمان لم يعتده من قبل. وبينما كان الآخرون يضحكون، تأمل فى جرة الماء، التى تشبه الرحم فى شكلها، وأدرك فجأة، كما لو كان وحيا، ما قد درس بالمدرسة، من أن ثلثى جسد الإنسان ماء. قال حينئذ:

- من اليسير نظريا ادراك أننا خلقنا من ماء. لكن من العسير فهم ذلك بالمشاعر، كما أفهمه أنا فى هذه اللحظة.

- ماذا تريد أن تقول؟ سألته أماندا، المحتقنة من الضحك، والتى وضعت طبقها ببقايا الخروف فى وسط المائدة.

- إننى عجين سائل. ألم تنتبهى لذلك؟

- أنت تبدو لى رجلا غاية فى الصلابة.

نهض خوليو حينئذ وتجول فى الصالون من جانب لآخر بتوازن البهلوان، كما لو كان ماشيا فوق الحبل.

- أمشى هكذا بكل حذر حتى لا أنسكب، فأنا ملىء بالماء.

نجح المشهد بتفوق ؛ لدرجة أن أماندا نهضت وبدأت تسير وراءه كما لو كانت تحمل فوق رأسها دلوا ممتلئا بالماء حتى آخره.

- أنظرا، لن ننسكب.هيا أنتم ايضا.

نهض الزوجان وبعد قليل كان الاربعة يتجولون فى الشقة بكل حذر، مندهشين من أنهم لم ينسكبوا بالرغم من أنهم يحملون كثيرا من الماء بداخلهم. ظلت لويسا تحبس الضحكة حتى انفجرت وجلست. نظرت البنت للأرضية وأشارت إلى ذرات ماء.

- أمى - قالت - لقد انسكبت قليلا، أنظرا هذه النقط. لقد اختفت.

تناولوا الحلوى منتعشين بفضل هذا المشهد المشترك وجاء وقت أكل العنب، الذى يخشاه خوليو، فى جو من المباحات الذى تحول إلى مجرد روتين. بعد سماع دق الاجراس فى التلفاز، تبادلوا العناق وشربوا النخب. فى هذه اللحظة، كما لو كانت الشوارع تحاول استجماع أفكارها، بدأوا فى تفجير المفرقعات وإطلاق الصيحات.استيقظت ابنة أماندا وشرعت فى البكاء. تغير وجه الأم وأصبح كوميديا جدا من الفزع.

- مانيكانى تبكى ! - صاحت.

- احضريها إلى هنا، يا سيدة - قالت لويسا -، لتستمتع بالعام الجديد معنا.

- لا، لا، فإن لم تنم الليلة ستضايقنى غدا.

قال خوليو إنه سيعتنى بالطفلة وبعدها، بدون أن ينتظر ردا، نهض ودخل الممر بحثا عن الغرفة التى يأتى منها البكاء. عندما فتح الباب، رأى الصغيرة واقفة، فى وسط الغرفة، مضاءة بنور الاعمدة الذى تسرب من خلال النافذة الخالية من الستائر. عندما رأت الطفلة ظل خوليو،

توقفت عن البكاء. حينئذ، أطرق رأسه وأخذ يدها.

ـ ماذا حدث؟ ـ سأل.

ـ هناك حيوان فى هذا الكرسى.

نظر خوليو حيث أشارت الطفلة ورأى مجموعة من الملابس المتناثرة التى كانت تبدو فى الظلام كوحش واقف بالمرصاد .أضاء النور ودعا الصغيرة إلى الاقتراب ولمس الملابس حتى تتحقق أن سبب خوفها لا أساس له. دنت الصغيرة يدها من الملابس، لكنها لم تصل للمسها.

ـ عندما أضأت النور تحول إلى ملابس ـ قالت.

قادها خوليو إلى السرير وغطاها.

ـ ما اسمك؟

ـ خوليو. وانت؟

ـ خوليا.

ـ ياللصدفة !.

ـ ليست صدفة. إنه اسم جدى وانت ابن جدى. وفى العائلات تتشابه الاسماء.

ـ كيف عرفت اننى ابن جدك؟

ـ قالت لى امى إنك ستأتى للعشاء مع زوجتك.

ـ لم تستطع زوجتى المجىء.

ـ لماذا؟

ـ بسبب الصداع.

ـ كم وزن زوجتك؟

ـ لا اعرف. وأنت؟

ـ اثنان وثلاثون ونصف كيلو.

أطفأ خوليو النور وجلس على السرير، بجانب رأس الطفلة، التى تبادل معها نظرة أربكته فى هذا الظلام.

- إذا اردت أن أنام، احك لى حدوتة - قالت الصغيرة.

- أنا لا أعرف حكاية الحواديت - قال خوليو.

- إذن لن أنام.

ظل الرجل البالغ والطفلة الصغيرة فى صمت عدة لحظات، كل منهما فى انتظار أن يحل الآخر هذا الموقف. وأخيرا، تنازلت الطفلة.

- فقط قل " كان يا ما كان" وسترى كيف ستأتى الحدوتة.

- كان يا ما كان - قال خوليو وصمت.

- كان فى بلد - أضافت الصغيرة.

- كان فى بلد ...

فى هذه اللحظة، عبر ظل على الحائط قادم من حركة أحد فى الشارع.

- كان فى بلد - كرر خوليو - عدد ظلاله أقل من عدد أشخاصه.

- لماذا؟

- لأن نصف الناس يولدون بلا ظل.

- وكيف كان الناس بلا ظل؟

- كانوا طائشين

- ماذا تريد أن تقول بكلمة " طائشين "

- هؤلاء الذين يفكرون قليلا فى الأشياء

- أية أشياء؟

- كل الأشياء. تغلق الأبواب على أصابعهم ؛ يسقطون من درجات السلم ؛ يقصون أظافرهم بالمقص ؛ يلسعون ألسنتهم بالشوربة ؛ يشرقون

عندما يأكلون ؛ يتركون الحنفيات مفتوحة ويفكون رباط الحذاء...

- وهل يتبولون فى السرير؟

- نعم.

- هل كانوا يعرفون القراءة؟

- نعم لكن بشكل سيئ.

- وماذا حدث؟

- قررت حكومة هذا البلد تقسيم الظلال الموجودة إلى أنصاف ظلال وإعادة توزيعها على المواطنين ليمتلك كل مواطن نصف ظل.

- وهل كفوا عن إغلاق الأبواب على أصابعهم؟

- أصبح أقل من الأول.

- هل أغلقت أنت الباب ذات مرة على أصابعك؟

- نعم مرة واحدة، كنت صغيرا.

- أنا لا.

- شىء رائع، الآن اغمضى عينيك.

- لكن ماذا حدث بعد ذلك؟

كان خوليو مندهشا. كان يعرف ما قد حدث فى هذا البلد قبل أن تسأله الصغيرة، كما لو كان فى منطق الحكى نفس ما فى منطق البويضة ، إيجاد جسد له عدد محدد من الايدى والاعين والاظافر...

- حسنا، سارت الناس فى الشارع بنصف الظل الذى منحته لهم الحكومة، حيث منح لهم بالقرعة. لكن ذات يوم، كان هناك شخصان يتجولان فى حديقة، ويسير خلف كل منهما نصف ظله، عندما دفعهما شىء للتوقف. عندما نظرا للأرض، ناحية هذا الشىء الذى أجبر نصف ظلهما على التوقف، انتبها حينئذ أن نصف ظل كل منهما التقى بنصفه الآخر الأصلى، والآن، عند لقائهما مرة أخرى بالصدفة، لا يمكن

فصلهما أبدا. وقد حدث توافق بين صاحبى نصفى الظلين وكانا رجلا وامرأة أعذبين، وبالتالى تزوجا واستغلا هذا الظل المتوحد ليسيرا على نظام الاموال المشتركة بين الزوجين.

- ما معنى الأموال المشتركة؟

- إن فلوس أحدهما ملك للآخر.

- وماذا حدث بعد ذلك؟ - سألت خوليا متثائبة.

- منذ ذلك الحين كل أنصاف الظلال الموجودة فى البلد بدأت سكة البحث عن النصف الآخر ساحبين بذلك كل الاشخاص من مكان لآخر..كان الهدف الاساسى للظلال فى إيجاد نصفها الآخر يفرض على الأشخاص أنفسهم..الظلال أصبحت تسيطر على حركات كل العالم. وعندما كان يلتقى نصف الظل مع نصفه الآخر، اللذان كانا قبل ذلك ظلا واحدا، كان أصحاب الظل يلتقيان أيضا بدون أى فرصة للاختيار: وكانت هذه هى سلطة الظل... - انتبه خوليو حينئذ أن الطفلة قد نامت ، لكنه استمر فى حكى الحدوتة لنفسه أكثر منها للطفلة. كان فى حاجة إلى معرفة ماذا حدث أيضا فى هذا البلد .: كان هناك زواج يفسخ باستمرار ويعقد زواج آخر ليس استجابة لرغبة الجسد، وإنما لرغبة الظل.فعندما كان يحدث الطلاق بين زوجين، كان الرجل والمرأة يتشاجران لأن أحدهما له ظل أكبر من الآخر. كانت المشاجرات خشنة. وفى النهاية، كان الناس يتزوجون لا من أجل الحب وإنما من أجل الظل. كانت الظلال هى التى تختار العروسة أو العريس، بينما أصبح الافراد جزءا فقط من الظل. كانت ظلال الساسة هى التى تحكم البلد، بينما ظلال المدرسين تشرح الدروس فى المدارس لظلال التلاميذ. كانت ظلال رجال الشرطة تطارد ظلال المجرمين، التى حكمت عليهم ظلال القضاة بالسجن. كانت ظلال الاطباء تعالج ظلال المرضى. وفى الاسواق، كانت تباع ظلال اللحم وظلال السمك وظلال الخبز إلى ظلال الزبائن. وبما أن الظلال تعشق الظلام، رويدا رويدا حرموا فى هذا

البلد كل مظاهر النور بداية من المصابيح ومرورا بالشمع ؛ ثم حرموا بعد ذلك ضوء الشمس. وتحول هذا المكان إلى ظل ضخم فى داخله، لو تحركت كثيرا بعصا، لوجدت أشخاصا مثلما تجد الحمص فى طبق حمص الشام.

مضى خوليو يتملكه الحماس بقدر ما كان يتكلم، لكنه أدرك ذلك عندما وصل للنهاية. كان منفعلا، كواعظ القى ، بكل نجاح، أفضل خطبة فى حياته. كانت أنفاس الطفلة قد توقفت. أخذ يدها بحذر وتركها تسقط ليتحرى درجة استرخائها. كانت الغرفة تحتوى، بالاضافة للسرير، على ترابيزة عمل ورف صغير به كتب ألقى نظرة على غلافها من خلال ضوء أباجورة طويلة، مغطاة ببرنيطة، وكان ضوؤها خافتا. لفت انتباهه كتاب له غلاف أحمر عنوانه " مذكرة للمعلومات الطبية للبيت "، بحث فى فهرسه التحليلى عن مصطلح " إغماء ". كان داخل فصل معنون " فقدان الوعى والإغماء " .بدأ يقرأ بالكاد الجزء الاول الموافق لفقدان الوعى، عندما دق تليفونه المحمول. جاءته رسالة فتحها وقرأها. كانت تقول: " اريد أن ننفصل. إنه قرار نهائى لا رجعة فيه.لاورا." قرأها خوليو مرة واثنتين وثلاثا وأربع مرات. وعندما شرع ليقرأها للمرة الخامسة، فتح باب الغرفة بحذر وظهرت أماندا.

ـ ماذا حدث؟ ـ سألت بصوت خفيض.

ـ لا شىء، لقد نامت ـ أجاب خوليو بنفس نبرة الصوت ، مخبئا تليفونه المحمول.

لقد وصلت أماندا حيث كان خوليو واقفا على أطراف أصابعها ورأت من فوق كتفه ما كان يقرأه.

ـ فقدان الوعى والاغماء ـ قالت ـ يا للحماس.

ـ الامر هو أن لى صديقا حدثت له حادثة وهو الان فى حالة غيبوبة تامة، ومع ذلك لا أعرف بالتحديد فيما تكمن الغيبوبة.

- إنه مثل البيات الشتوى، ومن ينفق عليه؟

- على ماذا؟

- على الاغماء. إنه أغلى من قضاء الاجازة فى الكاريبى.

- أبوه، الذى يعمل سفيرا.

- هناك أناس محظوظون.

أغلق خوليو الكتاب.

- يبدو أنك أصبت بفقدان وعى من قراءتك لفقدان الوعى - داعبته أماندا.

- ليس الأمر كذلك.

- اخفض صوتك.

- ليس الأمر كذلك - كرر خوليو بصوت خفيض.

- إذن ما الأمر؟

تردد خوليو عدة لحظات، بعدها أخرج المحمول من جيبه، فتح رسالة لاورا وأطلع عليها أماندا.

- اذن لقد اختارت أفضل يوم فى العام لتقول لك ذلك، يلاحظ أنها امرأة واعية.

- حقا - أجابها خوليو.

- أتريد أن تبكى أو شىء؟

- لا.

- جئت لابحث عنك لنلعب المونوبولى. إنه معنا جاهز.

- لا تقولى شيئا لأبى ولا لأمك.

- اتفقنا.

ترك خوليو وأماندا الغرفة وعادا للصالون، حيث كانت لويسا قد

أشعلت سيجارة حشيش وقدمتها لخوليو الذى قبلها هذه المرة، وأخذ النفس الأول بخجل. كانوا قد وضعوا اللعبة فوق نفس المائدة التى تناولوا فوقها العشاء منذ قليل. وبينما كانوا يتذكرون قواعد اللعبة، لفت عليهم السيجارة عدة مرات. عند النفس الثالث لاحظ خوليو تأثيرالمخدر فى صدغيه، وبدأ يشعر أنهما غرفتان متواجهتان. فى واحدة من هاتين الغرفتين وجد نفسه، وفى الاخرى ايضا. لكن فى الاولى كان هو وفى الثانية كان انعكاسه، أو ظله، بالرغم من أنه لم يجد الطريقة التى يتحقق بها إذا كانت الصورة الحقيقية هى الصدغ الايسر أم الايمن. كان بالغرفتين اثاث متقشف رهبانى. تخيل سريرا ـ أو بمعنى أدق سرير بحر ـ ترابيزة بدائية وكرسى هزاز. كانت هناك ايضا نافذة تطل على فناء داخلى للرأس من خلاله تتصل بغرفتين أخريين ، أو صدغين. أدرك فجأة لماذا المنتحرون يطلقون النار على الأصداغ ليقضوا على حياتهم وتوصل لاستنتاج أن أصحاب اليمنى كانوا يعيشون فى الصدغ الايمن من الرأس (وفى هذه الحالة، صورة الجانب الايسر مجرد انعكاس)، بينما أصحاب اليسرى كانوا يعيشون فى صدغ الجانب الايسر. إطلاق النار على الصدغ المعاكس يساوى إطلاق النار ضد المرآة.

فى لحظة ما خاف أن تكون هذه الأفكار قد عزلته بشكل كبير عن الجالسين، لكنه بمجرد ما رفع رأسه انتبه إلى انهم كلهم شبه مغيبين، يغنون ويعدون الفلوس المزيفة التى يلعبون بها المونوبولى، الذى يكمن فى أن تصير ثريا عند شرائك أو بيعك العقارات الوهمية التى يتدحرج فى شوارعها الزهر الذى يمثل اللاعبين. من الضرورى التوليف بين السيولة المادية والخطة الاستثمارية، ومن الممكن تأجير الاماكن للاعبين الذين وقعوا فى ممتلكات الغير بأسعار عالية جدا. ومن الممكن ايضا اخذ سلفة بالرغم من أن الفوائد ستكون مرتفعة جدا.

ـ فلتحيا المضاربة العقارية ! ـ صاحت أماندا عندما ربحت عمارة ممتازة تقع فى منطقة تجارية غالية جدا.

كان خوليو يتصرف كمنتحر، لكن كلما كانت عملياته أكثر مجازفة، ربح فوائد كبرى. أما أبوه، الذى بدأ يلعب بطريقة شبه متحفظة، فقد لامه على انه يستثمر بطريقة جنونية، لكن خوليو أجابه ببرهنة انه يمضى رابحا. بعد ذلك حقق ابو خوليو بعض الاستثمارات المدمرة التى وازنت المباراة وفى الحال بدأ يتفوق على الباقين. وعبر عن رضاه المضارب بدندنة اغنية: اتذكرين يا أماندا، وهى اغنية جيله، التى وجهها لابنة لويسا. وعندما وصلوا إلى ساعة ونصف الساعة من اللعب، كان خوليو وابوه من الاغنياء أصحاب الأراضى، بينما كانت أماندا وأمها من الطبقة الوسطى الفقيرة، لكن لم يستطع احد الرجلين أن ينتصر على الآخر، حيث كان كل منهما يستعيد نفسه من خسارته المالية فى الحال. وبما أن اللعب طال، فقد خف حماس الجزء الاول من الليل، وفجأة فقد اللاعبون حماسهم كلية. وتركوا المباراة بدون أن تكتمل. قررت أماندا حينئذ أن تنام فى هذا البيت، حتى لا تحرك الصغيرة، بينما ودعهم خوليو وعلى الباب قال له ابوه:

- انه شىء مؤسف، أنا وأنت معا بإمكاننا أن ننشىء مؤسسة كالامبراطورية فى المقاولات.

■■■

فتح خوليو باب شقته يصحبه شعور من الخوف من أن تكون لاورا مستيقظة فى انتظاره، من أجل " الحوار ". لكن الشقة كانت مظلمة. وبدون أن يضىء أى نور، متجنبا إحداث ضوضاء، توجه إلى غرفة النوم، حيث شم عند دخوله رائحة زوجته وميز شكل جسدها فوق السرير. ربما رقد بجوارها، ربما نام ، وفى اليوم التالى (وربما لم يكن اليوم التالى) استمر كل شىء على حاله. لكن بمجرد أن أنزل سوستة ثوبه سمع صوت لاورا القادم من السرير:

- أريد أن ترحل الآن - قالت.

- لكن إلى اين سأرحل فى هذه الساعة؟ - سألها خوليو.

- لا أعرف، إلى فندق، إلى بيت أبيك، إلى حيث تريد، لكن لا يعبر بخاطرك أن تنام فى هذا السرير.

- واشيائى؟

- تعال وخذها عندما لا أكون فى الشقة أو أبعثها لك حيث تخبرنى.

كان فى صوت لاورا، الموجه اليه فى الظلام، هذا التصميم الذى بعث الخوف فى نفسه، وبالتالى خرج خوليو من الغرفة دون أن ينبس بكلمة. وعندما كان فى الممر، نادته هى، واقفة على باب غرفة النوم.

- المفاتيح - طلبتها منه وهى تمد إحدى يديها إليه. بدت لخوليو بعينى امرأة مجنونة، فم مجنونة، شعر مجنونة.

- أى مفاتيح؟ - سألها.

- أى مفاتيح ستكون؟ مفاتيح الشقة طبعا.

أخرج خوليو المفاتيح من جيبه، سلمها لها وعادت هى لغرفة النوم بينما واصل هو طريقه فى الممر، حتى فتح الباب بعد أن أخذ الخوذة، وخرج، وأغلق الباب مرة أخرى وراءه ، شاعرا انه أغلق كتابا لم يفهمه جيدا. مذهولا من المشهد الذى انتهى فى التو، دخل المصعد، حيث خطرت بباله فكرة اللجوء إلى شقة مانويل، التى، منذ تعهد بها، يحتفظ بمفاتيحها كالتميمة فى جيب البنطلون المواجه للجيب الذى اعتاد أن يضع فيه تلك المفاتيح التى كانت مفاتيحه حتى وقت قريب جدا، ولأنه قد قرر أن يفعل الاشياء بإتقان، خرج للشارع، اخذ الموتوسيكل وركنه بعيدا عن مدخل العمارة، حيث لا تستطيع لاورا رؤيته عند خروجها. عاد بعد ذلك، وبدلا من أن يأخذ المصعد، التى تؤثر اهتزازاته على المبنى بأكمله، صعد درجات السلم على قدميه، متوجها هذه المرة إلى شقة مانويل التى فتح بابها بحذر ليتسلل اليها كمن يتسلل حارة.

بدون أن يضىء أى نور، وبحركات بهلوان، حتى لا تتسرب أى ضوضاء للشقة المجاورة، وصل لغرفة نوم جاره، خلع ملابسه ودخل فى السرير فورا ، فكر، أن شبحه، أو انعكاسه (وربما ظله) دخل فى سرير الشقة المجاورة، بجانب لاورا. استغرب صلابة المرتبة، وأعجبته فى الوقت نفسه. قبل أن يغمض عينيه، رأى من النافذة دخول الضوء الذى به قام فجر العام الجديد بإضاءة حياته.

نام طوال النهار وأيقظته، عند غروب الشمس، بعض الضوضاء القادمة من الشقة المجاورة.وبعينين مغمضتين، تخيل سير لاورا من مكان لآخر داخل الشقة. كان يقرأ الصوت الصادر من زوجته كما لو كان حروفا للابجدية التى تملأ الفراغ بالجمل. الان هى فى الممر ؛ الان هى

فى الصالون ؛ الآن هى تغسل الأوانى ؛ الآن هى تملأ الغسالة ؛ تضبط البرنامج ؛ تستوى فى مجلسها ؛ تنظر حولها ؛ تحتار... أحيانا، كان عليه أن يملأ الصمت كمن عليه أن يضع سطورا متلاشية فى ورقة مقطعة، أو عليه أن يستنتج معناها من الجمل. الآن، ماذا يفعل الآن، ماذا يفعل شبحى فى هذا البيت الذى بدأت عائلته تتفتت (أهكذا تقال؟) بدون أن يعرف صاحبه ذلك، حتى طرد منه.

ولأن الصمت قد طال، نهض خوليو ولصق أذنه فى الحائط الفاصل بدون أن يسمع شيئا .بعد ذلك، وفجأة، بدأ يسمع رنين أغنية. لم يكن هو ولا زوجته يهويان الموسيقى بشكل خاص. كان لديهما أسطوانات بالطبع، وكذلك الجهاز، ذو الجودة المتوسطة، لكنهما نادرا ما استخدماه. إن تخيل لاورا تستمتع بمفردها بالموسيقى، كان يشبه اكتشاف امرأة مختلفة، أقل خشونة من تلك المرأة التى عاشرها. هل تغلق هذه المرأة مفتاح الغاز قبل أن تنام؟ هل تتحقق أن ترباس باب الشقة مقفول؟ هل تعرف كيف تتفادى رشح سيفون الحمام عندما يصير سيئ الاغلاق؟ هل تتجرأ على فك الفيشة التالفة، الحنفية المكسورة، الكالون الفاسد؟ هل تتخلص من القمامة بانتظام دقيق لتتفادى الروائح الكريهة؟ واخيرا، من يتكلف بكل هذا العمل، الذى كان يتكلف به قبل ذلك هذا الذى يسكن الآن فى الجانب الآخر من المرآة، وربما الجانب الاخر من نفسه؟

لكنه الان فى هذه الشقة، حيث، بالرغم من أن هبوط الليل قد بدأ، لا يتجرأ أن يضىء نورا، أو يحدث ضوضاء، خشية أن يوشى على نفسه. كان يتحرك من مكان لآخر بحركات شبح، بتردد طيف اكتسب فى التو هذه الحالة. وفى هذه الحالة، دق تليفونه المحمول داخل جيب قميصه. رد بسرعة. كانت أماندا، ابنة زوجة أبيه (هل هى أخته غير الشقيقة؟) التى فى صحبتها قضى الليلة الماضية.

ـ مرحبا ـ قالت السيدة.

ـ مرحبا بك ـ أجابها.

- لماذا تتحدث بصوت خفيض؟

- لأن صوتى مبحوح قليلا.

- متى استيقظت؟

- منذ قليل.

انتبه حينئذ أن اليوم هو الاول من يناير، وبالتالى فإن اليوم الأول من العام يتوافق مع اليوم الاول الذى يقضيه خارج ذاته. كانت أماندا تهاتفه لتدعوه إلى تناول كأس فى بيتها.

- لقد اشتاقت لك ابنتى كثيرا، لا أعرف ماذا فعلت بها.

- غدا لدى عمل - اعتذر.

- ألم تقل أنك استيقظت منذ قليل؟ لو نمت الآن لن يأتيك النعاس.

قام خوليو بالضرب والطرح وخرجت النتيجة فى صالح الشابة. قد يكون من المناسب أن يغير جوا، أن يخرج،ان يرهق نفسه قليلا. ومن ناحية أخرى، كانت لديه رغبة فى رؤية الطفلة، التى عقد معها بالفعل صلة غامضة ومؤثرة.سجل العنوان وقال إنه سيصل بعد قليل. بعد أن أنهى المكالمة انتبه انه لم يبدل ملابسه منذ يومين. كانت رائحة العرق تفوح من جسده.اتجه لغرفة الحمام، أضاء النور (هنا يمكن اضاءة النور، حيث إنه لا نوافذ) وبعد أن تاكد، لاصقا من جديد أذنه على الحائط، من أن لاورا غير موجودة فى غرفة حمام الجانب الاخر، خلع ملابسه، فتح حنفية الحوض وبلل الفوطة ليغسل جسده جزءاً بعد جزء. لقد خاف أن يستخدم الدش، الذى كان صوته مجلبا للضجيج.استخدم بعد ذلك مزيل العرق الخاص بمانويل وكذلك كولونيته وخرج بعد ذلك لغرفة النوم، حيث أخذ من دولابها طقم ملابس داخلية وقميصا. كان كل شىء على مقاسه، بل على مقاسه بشكل مدهش، وهو ما جعله يقرر استعمال البنطلون الجينز الخاص أيضا بجاره.

خرج من الشقة متخذا كل الاجراءات الاحتياطية، خشية أن يتوافق

خروجه مع خروج احد الجيران أو مع لاورا نفسها. وبمجرد أن وصل بسطة السلم، هبط درجات السلم مسرعا ولم يشعر بالامان حتى وصل للشارع.

كانت أماندا تقيم بعيدا، فى مدينة عمرانية ذات ملحقات متواضعة، وصل اليها خوليو فى الحال، حيث لم يكن هناك ازدحام مرورى، عن طريق احدى الطرق المختصرة خارج المدينة. استقبلته وهى فى كامل زينتها، كما لو كانت على وشك الخروج، وكان هذا تفسيرا لوجود التاكسى، بأنواره المضاءة وموتوره المشتغل، الذى ركن وراءه الموتوسيكل. قوّم خوليو بمجرد دخوله البيت جودة البناية، معطيا لها درجة ناجح بمقبول. كانت المساحات، الضيقة جدا(حيث أن الشقة، ذات المستويين، لم تكن اكبر من ٣٥ مترا مربعا) تذكره بمساحات ديكور كوميديا الموقف. فى الصالون كانت هناك مدخنة صغيرة كان مكانها مليئا بالالعاب. وكانت الصغيرة، الجالسة فوق الكنبة، تشاهد التلفاز.

- هل الجو برد؟ - سألت أماندا.

- إلى حد ما - قال هو.

قالت أماندا إنها عليها أن تعتذر له ، حيث إنها بعد أن هاتفته بقليل ظهرت لها مشكلة تجبرها على الغياب عن البيت لبعض الوقت.

- يجب أن أذهب مهرولة.الطفلة قد تعشت واغتسلت. تستطيع أن تنيمها عندما تحب. لا تتركها تشاهد التلفاز كثيرا. هناك سجائر حشيش ملفوفة فى علبة نحاس تجدها فوق رف المدخنة. وقد تركت لك هنا رقم تليفونى المحمول، لو حدث شىء. يمكنك أن تأكل، تشاهد فيلما، تسمع موسيقى... وخلال ساعة ونصف الساعة سأعود. معذرة.

- ولو بكت؟ - سأل خوليو، مرعوبا، موجها نظره للصغيرة، التى كفت عن الانتباه للشاشة وركزت انتباهها فيه هو.

- إنها قليلة البكاء - قالت وهى تخرج.

بعد أن اختفت أماندا، سار خوليو قليلا فى اتجاهات مختلفة دون أن يعرف ماذا يفعل. وأخيرا، توجه لخوليا وسألها إن كانت تتذكره.

- أتذكرك بالطبع - قالت الصغيرة وهى تنظر للرجل البالغ نظرة محايدة - أنت من حكيت لى حدوتة الظل.

إن التلقائية التى عاملته بها الطفلة خففت دفعة الهلع الاولى. نظر مرة أخرى للصالون بشعور يعدم الارتياح أمام درجة الفوضى التى تسود البيت. كان يوجد فوق المدفأة قطع ملابس داخلية خاصة بأماندا لمس خوليو تطريزها بأصابعه خفية. وفوق الترابيزة رأى صينية بها فتات خبز وعلبة زبادى فارغة، داخلها ملعقة صغيرة. بجانب التلفاز كان يوجد مركوب سميك جدا للسير داخل البيت وكان يشبه رأس الثعبان. كانت الارضية مغطاة بسجاجيد صغيرة ورقيقة، وبالتالى كانت معظمها مجعدة وخارج مكانها جلس فوق الكنبة بعد أن اقصى بعض كتب لحواديت الأطفال كانت مفتوحة بأى شكل، وأخذ الريموت كنترول الخاص بالتلفاز بدون أى نية مسبقة.

- إذا أردت تستطيع تغيير القناة - قالت الصغيرة.

- آه، شكرا - أجابها، وبدأ يتأفف باحثا عن شىء معتدل لا يقلق الطفلة لكنه يحدث ضوضاء، حيث إن صمت البيت، بالإضافة لصمت الحى العمرانى ، كان يبدو له كئيبا.

اختار مسلسلا ذا ضحكات متكررة وتظاهر أنه منتبه له بينما كان يحاول أن يتخذ قرارا. تركت الطفلة حينئذ جانب الكنبة حيث كانت تجلس ودنت منه لتجلس بجواره، فمرر ذراعه فوق كتفيها بشكل فطرى، فى إيماءة تعنى الحماية. وعندما شعرت بدفء الرجل البالغ، انكمشت الصغيرة بسرور مانحة له بذلك شعورا مجهولا باللذة. حينئذ جذبها أكثر ناحيته ملاحظا أن الصغيرة تتركه ليجذبها. وعندما أخذ كل منهما مكانه، لم يتجرأ خوليو على الحركة من مكانه. وعند عرض المجموعة الاولى من الاعلانات، كان النوم قد غلب الصغيرة. أخذ خوليو الريموت

وخفض صوت التلفاز. أب حقيقى، فكر، يحملها بين ذراعيه للسرير. ولأنه لا يعرف أين غرفتها، ولا خصائص الشقة، استوى فى مجلسه بحذر لكيلا يوقظ الطفلة، واضعا إياها على الكنبة، وذهب ليشعل ضوء السلم ، والذى من خلاله دخل الشقة العليا، المظلمة والسوداء، بهدف اكتشافها. بدا له خيط معتم مارا بالسلم كان يذوب فى الضوء. ادرك حينئذ انه كان خائفا من الاحاسيس التى كانت تثيرها علاقته بالطفلة أكثر من خوفه من مسئولية الاعتناء بها. كان السلم ينقصه التجويف ؛ كان يبدو مثل الرسم البيانى. درجاته كانت مثبتة من المنطقة المركزية بكمرة حديدية. كان السلم فى مجموعه يذكرنا بصورة عمود فقرى لسمكة. وضع قدمه بحذر على الضلع الأول، ليرى إن كان يطقطق كثيرا ام لا، بعدها صعد إلى المنطقة الأكثر خصوصية فى الشقة مصطحبا فكرة إضاءة الأنوار التى تحدد جولته حتى غرفة نوم الطفلة. انتهى السلم فى مفترق مفتوح على غرفتين متواجهتين ودورة مياه كان بابها مفتوحا. اختار من الغرفتين عشوائيا الغرفة اليمنى وقد أصاب: فقد كانت غرفة الطفلة. كانت عبارة عن غرفة نوم كبيرة، لكنها غير مرتبة، مليئة حوائطها ببوسترات ذات موضوعات طفولية معلقة بدبابيس مكتب بشكل سيئ على الحائط. كان يوجد ايضا صندوق كبير من الصفصاف، ملىء باللعب، بغطاء مرفوع، ومكتب مذاكرة صغير وسرير غير مرتب. رتب خوليو السرير، فرد جيدا البطانية وأخذ من الارض مجموعة لعب وألقاها فى الصندوق الكبير. وبعد ذلك، تاركا كل الانوار مشتعلة، نزل ليأخذ الطفلة التى لم تغير وضعها. لم يأخذ طفلة بين ذراعيه أبدا، وبالتالى فقد أدهشته خفتها ومع ذلك، كان يتمتع بجسدها المقلوب، حيث إنه عندما ضمها لصدره شعر، اكثر منه ماشيا، سابحا فى الصالون والسلم. وبمجرد أن وضعها فى السرير انتابه مرة اخرى الشعور بفعل الجاذبية الارضية فوق جسده ، هذه الجاذبية التى عادت إليه بينما كان يتأملها، شبه خائب الامل فى أن تستيقظ وتطلب منه أن يحكى لها حدوتة قبل أن تنام مجددا. وبالرغم من انه وجد نفسه

بجانبها، فى متناول يده، الا أن الطفلة كانت قد سقطت فى أعماق حلم حيث يبدو مستحيلا إنقاذها منه.

فى النهايه، وبعد لحظات قليلة، أطفأ النور، خرج من غرفة النوم وترك الباب مواربا، فربما تستيقظ، دخل الغرفة المواجهة، غرفة أماندا، التى كان لها حمام خاص ملحق، وبدون منفذ مباشر للتهوية، بالرغم من أنها واسعة بشكل مدهش بالنسبة لمساحة البيت. فوق السرير، غير المرتب ايضا، كان يوجد كل أنواع الثياب، كما لو كانت تجربه قبل أن تقرر ما الذى سترتديه عند الخروج. اما الدولاب، ذو الاطار الخشبى، شديد العرض، الذى كان يشبه دولاب لوحة، فقد كان ينقصه أبواب. فتح كل الادراج واحدا تلو الآخر، حتى وصل لدرج الملابس الداخلية، حيث وجد الملابس الداخلية المثيرة التى كان ينتظر العثور عليها داخل درج ببيت عاهرة. عندما مد أصابعه ليلمس هذه القطع، بدا له انها تماثل رغوة من الالوان.

فى حوائط دورة المياه، كان مازال البخار باقيا من استخدام الدش منذ قليل. أطل برأسه على البانيو بنفس الاحتياطات التى يطل بها على ذاته (ربما كان الامر كذلك)، وتحقق بعد ذلك من بلل الفوط حديثة الاستعمال ممتصا ماءها بشكل حميمى غريب، حيث كانت شبيهة بالفوط الخاصة بأى عاهرة.

عندما وصلت الإثارة أو الخوف لدرجة لا يمكن تحملها، هبط درجات السلم وجلس أمام التلفاز بشكل أحمق، حيث كانوا يقدمون مجموعة إعلانات اخرى. بينما كان يركز بشكل ميكانيكى فى الصور، كان يصعد ويهبط داخل نفسه، كما لو كان يتحرك داخل بيت، وما كان يراه فى كل غرفة يدخل إليها من ذاته كان يشعره أنه قريب وبعيد. الابوة. فكر فيها لأول مرة فى حياته فى نهار يوم أحد. كان يومها فى البيت مع لاورا. كانا يشاهدان فيلما فى التلفاز، وتبادلا التعليقات المتحفظة. تخيل حينئذ هذا الجحيم خلال بقية حياته. رأى كيف يهون

العظم من كل منهما أمام الآخر ، وكيف يرهقهما الكلام. ومن المثير للفضول، انه لم يعبر بخاطره أنهما قد ينفصلان، لم يكن هذا أبدا فى حساباته، ولكن عبر بخاطره أنهما قد ينجبان طفلا. فكر فى الطفل كما لو كان طريقة للتحرر من الزواج، والآن بعد أن فقد الزواج (وبسهولة مدهشة) يبدو له أن إنجاب طفل له قيمة خاصة. تخيل أن خوليا ابنته، تخيل انه يصطحبها للمدرسة، يقص على سمعها الحواديت، يدعوها للسينما. تخيلها فى مراهقتها...

عودة أماندا انتزعته من هذا الوهم الذى ركز فيه حتى نسى أين يكون وماهو الشكل الجديد لحياته.

- لقد تأخرت قليلا. اعتقدت انكما ستكونان نائمين - قالت.

- انا لا لم أنم - اجابها خوليو.

عادت أماندا فى كامل زينتها كما خرجت، ربما بشعر أقل تمشيطا وبشفتين أكثر جفافا. نظرت لخوليو وابتسمت بامتنان.

- هل ارهقتك الطفلة؟

- لا.

- ماذا كنت تفعل؟

- كنت افكر.

- الان ستحكى لى.

صعدت السيدة للشقة العليا. وخلال الدقائق التالية، سمع خوليو ذهابها وإيابها من مكان لآخر. كان من المستحيل التحقق فيما تفعل ذهابا وايابا، لكن الضوضاء الصادرة كانت هى الافكار التى تدور فى هذا البيت. وفى هذا البيت كان يفكر بشكل غامض.انتهى التأمل بتفريغ السيفون الذى رن صوته فى الصالون كما لو كان المصرف مكشوفا. بعد قليل ظهرت أماندا. كانت قد أخذت دشا وعادت ببرنس الحمام الابيض المتسخ قليلا والقديم بعض الشىء. سحبت سيجارة حشيش من رف

المدخنة، أشعلتها ومضت لتجلس بجانب خوليو.

- قل لى فيم كنت تفكر؟

- فى لاشىء، أشياء روتينية.هل صار كل شىء على ما يرام؟

- نعم - قالت أماندا وهى تقدم له السيجارة ، التى رفضها.

- لقد تأخرت قليلا وغدا عندى شغل كثير - اعتذر خوليو فى الوقت الذى غزاهما الصمت - لو احتجت أى مساعدة للطفلة، اتصلى بى.

عندما كان على وشك الخروج، دق تليفونه المحمول. كانت لاورا قد بعثت له رسالة:" سأترك لك المفاتيح تحت ممسحة الأرجل أمام الشقة لتأخذ اشياءك من البيت غدا صباحا، عندما اكون فى العمل. اترك المفاتيح مكانها تحت الممسحة."

- أشىء خطير حدث؟ - سألت اماندا.

- لا، انه شىء عادى.

■■■

فى هذه الليلة بدل ملاءات السرير بملاءات نظيفة وتضاءل استغرابه عن الليلة الماضية لسرير جاره، لكنه نام بشكل سيئ. ظهر له مانويل فى الحلم عدة مرات، معاتبا إياه على شغل سريره. وفى الصباح، سمع دقات منبه لاورا من خلال الجدار وفى الحال سمعها تنهض، تذهب للحمام، تفتح وتغلق الحنفيات أو الدواليب، تصل للمطبخ... أدرك حينئذ إلى أى حد كان بيته بالنسبة لمانويل نوعا من الفترينات العلنية التى من خلالها كان يراقبهما فى صمت.، كما يتجسس هو فى هذه اللحظة على زوجته. عندما خرجت هى من البيت، نهض هو وأخذ دشا. كانت غرفة حمام مانويل عادية وغريبة فى الوقت نفسه. مد خوليو يده إلى الدش، إلى الصابون، إلى الليفة، كما لو كان لأول مرة فى حياته يلمس هذه الاشياء. كان البانيو غير معتنى به وعلى الرف كانت توجد قوارير فارغة. كان للصابون السائل رائحة مختلفة عن الذى يستخدمه. وبالاضافة للشامبو وكريم الجسد، اكتشف زجاجات تحتوى على، طبقا للنشرة الطبية، كريمات لتقوية منابت الشعر وتأخير سقوطه. لم يترك شيئا إلا واستخدمه. وعند الخروج من البانيو ومشاهدة نفسه فى المرآة، لاحظ أن شعره قد اكتسب، بفضل هذه المواد الخاصة، نفس شكل الشعر الذى دائما ماحسد عليه جاره.

كان مانويل يحلق ذقنه بماكينة ذات شفرات ومعجون، وهو الاختراع الذى استمتع به خوليو وامتن له وجهه عندما بقى منتعشا ومتحفزا، حيث شعر برطوبة الهواء أكثر بكثير من استخدامه لماكينته الكهربائية. أما الكولونيا، التى كانت رائحتها مألوفة بالنسبة له لأنها كانت تشكل جزءا من هوية مانويل، فقد استخدمها بحذر، وربما بخوف، حيث لم يكن يعرف الكمية المناسبة لاستخدامها لتؤدى لنتيجة خفيفة كالتى كان يحصل عليها جاره، الذى عادة ما كان ينتقد الاشخاص المعطرين. كان يردد دائما إن الكولونيا والسم يتشابهان فى أن كلا منهما له تأثيرات علاجية أو مميتة طبقا للجرعة. كان يقول ذلك لخوليو، الذى كان يستخدم فقط كولونيا حمام، لكن بكميات كبيرة. قبل أن يخرج من الحمام، نظف البانيو بالليفة والصابون السائل متأكدا من أن هذه ليست هى الطريقة، لكنه لم يجد مواد أخرى مناسبة أكثر من تلك المواد. عائدا إلى غرفة النوم، وعند فتح أدراج الدولاب، أدهشه تنوع الوان الملابس الداخلية ، والجوارب. فلقد كان خوليو يعرف فقط اللون الابيض للملابس الداخلية والاسود للجوارب. وكل الالوان الأخرى، المرتبطة بهذه القطع، كانت تبدو له تافهة. ارتدى مع ذلك لباسا أحمر قانيا وفقه مع لون جورب ارتداه من نفس اللون. واختار بنطلونا جينز وقميصا أبيض كانا يعطيان لجاره شكلا أنيقا. وفوق القميص ارتدى معطفا أزرق، ذا قماش خفيف جدا. كان مانويل، باستثناء المعطف، لم يكن يرتدى ملابس الشتاء، ربما كان يعتبرها ثقيلة. جرب أيضا حذاء من الجلد له فتحة للتهوية وكان مريحا وخفيفا بشكل مدهش، لأنه ثانى من ينتعله، حدث نفسه، منتبها انه بهذه الهيئة يشبه شبان الاعلانات. فى النهاية، نظر فى المرآة وأعجب بنفسه. ادهشه أن تؤثر الملابس بهذا الشكل فى حالته النفسية، حيث شعر انه يطير بالمعنى الحرفى للكلمة وهو يتجول فى الممر.

كانت لاورا قد تركت له تحت ممسحة الارجل سلسلة المفاتيح، كما

قد بلغته بذلك فى رسالتها، فأخذها خوليو ودخل الشقة التى كانت منذ ساعات قليلة شقته. لاحظ فى الحال أنه غريب بداخلها. تحرك فى الممر كدخيل وأطل على الغرف كلص. فى غرفة النوم فتح أولا ادراج زوجته ليتأمل ملابسها الداخلية (التى قارنها بملابس أماندا) كرجل بصباص.لم تكن لاورا قد رتبت السرير وقد تركت بين الملاءات، كما هو معتاد لها، لباسا تحتيا متسخا، قربه من وجهه وشم رائحته، واندهش من أن ملمس ورائحة اللباس اثارته كما لو كان ينتسب لامرأة أخرى. بعد أن تركه فى نفس الوضع الذى وجده فيه، شرع فى أخذ ملابسه الخاصة التى شعر أنها، مقارنة بملابس مانويل، قاسية ومتقشفة... وبدا له ايضا انها ملابس ميت، وبالتالى كان يفرغ الدولاب وهو مأخوذ، كما لو كان يفرغ قبرا قديما ويحمل بقاياه لمستودع عظام الموتى الجماعى. مضت قطع الملابس تتساقط فوق السرير بطريقة فاجعة، جنائزية. وعندما بقى الدولاب فارغا، أطل عليه برأسه وبدت له رائحته كالقبر.

بمجرد أن جمع ملابسه، قرر أن يتناول إفطاره فى هذه الشقة، حيث لم يجد فى شقة مانويل شيئا إلا وانتهت صلاحيته.هنا أيضا، كانت الاشياء المنزلية، التى منذ قليل كانت مألوفة بالنسبة له، تبدو غريبة عليه. أن مجرد رفع الفنجان إلى فمه كان يولد فكرة الأشباح، لان لا شىء من هذه الاشياء كان ينتسب له، لا الفنجان ولا الاكواب ولا الشوك، أو كانت تنتسب، على أى حال، إلى شبحه. موهوما بهذه الفكرة، شرب القهوة وأكل البسكويت كما لو كان طيفا. كان طيف ذاته، بالرغم من انه يرتدى ملابس مانويل. بعد أن أنهى إفطاره، غسل الأوانى التى استخدمها ووضعها فى مكانها. بعد ذلك، بدون أن يترك وضعه كشبح، أخذ الملابس ونقلها للشقة المجاورة.. فعل نفس الشىء مع الكمبيوتر والكتب التى كان يلجأ لاستشارتها باستمرار.انتبه فى الحال انه فى كل هذه السنوات قد جمع أشياء قليلة جدا يستطيع أن يعتبرها ملكه.

ونصف هذه الاشياء لا تهمه.

قبل أن يخرج من البيت بشكل نهائى، احتار هل يكتب كلمة لـ لاورا، لكنه لم يجد ما يقوله لها، وبالتالى ترك المفاتيح تحت ممسحة الارجل وودع نفسه بكلمة وداع نطقها بصوت خفيض.

أثناء ذلك، حان الوقت للذهاب لموعده مع النجار الذى اختاره لعمل ديكورات الفيلم. لكنه لم يكن يرغب أن يذهب بالموتوسيكل. احس ايضا فى ثوب سائق الموتوسيكل بهيئة جلد ميت، كما لو كان ينتسب لحيوان قد أنسلوا شعره. كانت هيئة ملبسه والموتوسيكل متناقضين، وبالتالى بحث عن معطف خفيف وطويل كان مانويل يرتديه أيام البرد القارص، وخرج به إلى الشارع.المعطف، الذى كان دائما ينظر له بحسد، اتم عملية التحول التى بدأت هذا الصباح، عندما استيقظ. كان يسير كما لو كان شخصا آخر، أو كما لو كان يسكنه شخص آخر يحكم حركات جسده بمهارة طيار خبير. لم يكن عليه أن يبذل أى مجهود ليرفع قدميه من الارض ولا ليحرك ذراعيه، ولا حتى ليدير رأسه للوراء، لانه كان هناك شخص مكلف بهذه الامور الاعتيادية. وعندما يفتح فمه ـ فكر ـ ستخرج الكلمات الدقيقة لان هذا الاخر سيمليه ايضا ما يجب أن يقوله. وهنا، مر امام الموتوسيكل، الذى ربطه بعمود إنارة، بعيدا عن البيت، فى شارع غير محتمل أن تمر به لاورا، وتحقق بلا مبالاة انهم قد انتزعوا واحدة من المرآتين.

كان النجار، الذى تعامل معه خوليو فى مرات سابقة، يمتلك مكانا مركزيا مدهشا، بالرغم من سعر الارض المرتفع. ومع انه كان شابا، الا انه كان يستخدم فى عمله اعرافا تقليدية ، بل وقديمة، كان العملاء يقدرونها. كان رئيسا لعشرة أو اثنى عشر عاملا كان يشترط فيهم دراية غير معتادة بالمهنة.الان، بينما يتحدث مع خوليو، يمرر أنامل أصابعه على ثنية حلية خشبية، بحثا عن عيب لم يجده. كان قد درس الماكيت الذى أحضره له خوليو وسجل الموانع الرئيسية، التى يمكن اجتيازها

كلها. يجب أن تكون كل حوائط البيت متحركة ، لتسمح بتصوير الغرف من أى جانب. كان شرطا اساسيا امكانية نقل الجدران فى دقائق، لتجنب تضييع الوقت. طمأن النجار خوليو فيما يتعلق بالضوضاء: كان قد قرر تقوية المناطق التى سيتحرك فوقها الممثلون براتينج صناعى يمتص الصدمات ويتشرب الاصوات.عرض له نموذجا من هذا الراتينج الذى نقله خوليو من يد ليد مندهشا من التناقض بين حجمه ووزنه.

- انه لا يزن شيئا - قال.

- نعم لأن به ثقوبا - أجابه النجار.

عند الوداع، على الباب، سأله النجار عن الموتوسيكل. كان واضحا أن سؤاله يخفى شيئا أعم، متعلقا بصورته الجديدة. حدد خوليو إجابته فى أن ركوب هذا الموتوسيكل لا يناسب هذا الجو البارد.

خرج من ورشة النجارة ليتوجه لمكتب المنتجة. ولأن امامه متسعا من الوقت، قرر أن يسير على قدميه، باحثا عن الرصيف المشمس. كان معطف مانويل مصنوعا من نسيج خفيف جدا ومرن. أبدا، فى أى ثوب آخر، لم يشعر بهذه الحرية. كما لو كان ملتحفا وعاريا فى ذات الوقت. بعد قليل، بدأ يشرد به خياله مع فكرة إنشاء مؤسسة متخصصة فقط فى تشييد ديكورات السينما والتليفزيون. سأل نفسه عن سعر المكان فى ضواحى المدينة. لقد ادخر، هو ولاورا، بالرغم من تسديد اقساط البنك، مبلغا عاجلا أو آجلا سيتحدثان فيه. حسب نصيبه. ربما يكفيه كبداية هل سيعطونه قرضا لإكمال المشروع؟ لقد كان أبوه خبيرا فى التفاوض حول القروض. ربما سيتحدث معه فى هذا الامر، بل وسيحاول أن يضمه معه كشريك. جرت فى رأسه مجموعة من الخيالات التى فيها كان يعمل بجانب أبيه، الذى يستطيع أن يتكفل بالجانب التجارى، بينما يتكفل هو بإنجاز الاعمال. تخيل أنه قد استعاد علاقته بأبيه، كانا يأكلان معا أيام الاحد، بصحبة أماندا والطفلة، كعائلة واحدة. رأى نفسه مشغولا بتربية خوليا، مقدما لها الهدايا، وربما فى طريقه ليصطحبها

فى العودة من المدرسة...

فى واحد من دهاليز مكتب الانتاج، اصطدم بـ «السا»، مديرة الصوت، التى طمأنها فيما يتعلق بأصوات الديكور.

- لقد عثرنا على حل جديد - قال.

حاولت السا أن تخفى المفاجأة الناجمة عن ثوب خوليو، لكنها لم تفعل سوى النظر اليه من أعلى لأسفل، وهو ما ضايقه. كان يفضل الا تنتبه للتغيير، أو أن تتقبله بشكل طبيعى. أدرك فى هذه اللحظة أن السا كانت تنتمى إلى حياته السابقة على هذه الحياة التى اقامها هو قهرا. كانت المرأة ترتدى ملابس متواضعة، بلا اهتمام بذاتها. حاول أن يتخيل ملابسها الداخلية وعندما قارنها بالملابس التى ارتداها هو فى هذا اليوم، ادرك انهما ينتميان لعالمين مختلفين.

وافق رئيس الانتاج على التحسينات التى حكاها خوليو فيما يتعلق بالديكور، لكنه ألح فى الا تجب أن تؤثر فى الميزانية.

- أن نجارك هذا - أضاف - رجل ماهر، لكنه أحيانا يغالى

- لا توجد مشكلة - أجابه خوليو بحزم كشخص آخر، كالملابس التى يرتديها.

عند الخروج من مكتب الإنتاج، أخذ تاكسيا وذهب للمستشفى لزيارة مانويل. منذ شهور لم يركب هذه الوسيلة. كان يربطها بالظروف الطارئة. فى أكثر من مرة، كان يلوم جاره على الافراط فى ركوب التاكسيات. وذات يوم عمل له حسابات ليعرف ما يمكن أن يدخره فى العام لو ركب الاوتوبيس أو المترو، أو لو اشترى موتوسيكلا. تذكر ايماءة مانويل الضحوكة والساخرة عندما رأى هذا الحساب وبدا له خوليو بلا شك رجلا بائسا. بعد أن اعطى العنوان لسائق التاكسى، ادرك انه كان متجها للمستشفى ليتحقق أن صديقه مازال فى حالة الغيبوبة، حيث كان يخشى أن يفيق صديقه الآن فيلزم عليه أن يعيد له شقته وملابسه

وتصرفاته، وربما حياته.

أخبروه فى الاستقبال إنهم ينظفون جسده، وبالتالى كان عليه أن ينتظر. خلع المعطف، علقه على ذراعه، كما قد رأى ابا مانويل يفعل، وتنزه من مكان لآخر بتعبير مركز. كان يشعر بحدة مدهشة أن جسده عار داخل ملابس جاره. أدرك أن هناك نسيجا يرفض وجود الجسد ونسيج آخر، على العكس تماما، يثبت وجوده. بدا له اكذوبة انه لم يكتشف ذلك من قبل وهو مهندس ديكور وتذكر بعض تهكمات مانويل، مثل تلك المتعلقة بالانتريه. ألديكم انتريه؟. خطر على باله ايضا بعض المجادلات التى فيها عاتبه صديقه على عدم اهتمامه بالموضة، معللا إنها، طبقا لرأيه، إحد مظاهر الديكور. كان مانويل دائما يجعله يشعر إنه رجل اصبح مهندس ديكور بدون أن يكون ذلك بالفعل. والحق انه فى اعماقه كان يعطيه كل الحق، فخارج أعماله للسينما، حيث يقدرون مهاراته كعامل يدوى أكثر منه فنان، كان مهندس ديكور تقليديا لعملاء تقليديين. حقا كان يعرف كيف يبيع الذوق السائد لانه يمتلك خطبة إيحائية حوله، لكنه ابدا لم يبدع شيئا جديدا. كانت طريقة ملبسه (بناطيل جينز، بلوفرات، أحذية برقبة) التى تذكر بالأسلوب العشوائى والمهمل الذى يلجأ اليه شرذمة من خرقاء المهنة، يشكل تصريحا بالعجز، مثل الموتوسيكل ويدى صاحب الموتوسيكل، التى من منظور ما قد تكون مؤثرة لكن كل الناس لهم نقائصهم (تذكر الكتب المزيفة الموجودة فى عيادة طبيب أمراض النساء.). مانويل نفسه كان كاتبا بلا كتاب.

كما لو كان يحمل بداخله مانويل جالسا، رد ذهنيا على هذا الاعتراض:

. من الممكن أن يكون هناك كاتب بدون أن يكتب، لكن من المستحيل أن يكون هناك مهندس ديكور بدون ديكور بالفعل، أكثر الكتاب نقاء هم من لا يكتبون.

لم يستطع أن يشرح لماذا اكثر الكتاب نقاء هم من لا يكتبون ، لكنه عرف بالحدس أن الامر كذلك. من المؤكد أن التاريخ ملىء بكتاب عظماء تتبع شهرتهم بقدر كبير من عدم الكتابة، أو من كفهم عنها. لكنه لم يتخيل وجود مهندسى ديكور عظماء بدون أن يكونوا قد صنعوا ديكورا بالفعل.

أذهلته سهولة تبنى العادات ووجهات النظر الخاصة بمانويل وتذكر مقالا فى علم النفس، قرأه فى احدى مجلات الديكور، يقول إن هناك طريقة لتخفيف الالم الناتج عن فقد كائن عزيز تكمن فى أن يتحول الانسان بطريقة أو بأخرى إلى هذا الشخص المفقود. حيث يكتسب روتينه وعاداته ونوادره وبهذه الطريقة يظل الميت حيا فى أقاربه. لكن بالاضافة لهذا التأمل المطمئن، خطرت بذهنه ايضا فكرة أن مانويل قد استغله ليعيش من خلاله. لهذا شغل شقته وارتدى ملابسه ويتبنى الان وجهات نظره...

عندما سمحت له الممرضة بالدخول، وبعد أن سأل أن كان قد حدث لحالته أى تطور، جلس فى كرسى كان موجودا بجانب رأس السرير وسأل نفسه ما الذى رأى مانويل فى لاورا وفيه ليبحث عن صحتهما بهذه المواظبة. لكنه هذه المرة لم يعثر على اجابة، لا عن طريق إحساسه الشخصى بالأشياء، ولا عن طريق احساس مانويل.

■■■

** معرفتي **
www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

خصص الأيام التالية لإتقان العادات الروتينية. تعلم أن يتحرك داخل بيت مانويل كشبح، حتى لا يشعر أحد أنه يسكنه، ومضى رويدا رويدا يصلح حال البيت من حيث النظافة، حيث وجد القذارة فى كل ركن. وجد متعة فى ترتيب الكتب (بالرغم من أنه لم يكن قارئا، إلا أنه تخيل دائما الحياة بصحبة مكتبة)، وفى مسح قيشانى المطبخ وغرفة الحمام، التى شعر أن نظافتها تحتاج للاهتمام المستمر، ولكنه الصامت. وبينما كان يدعك الحمام، كان يتوه فى الاحلام التى لم ينلها فى أى نشاط آخر. كان يغسل ملابسه على يده، خشية أن تحدث الغسالة صوتا، وكان ينشرها على عارضة بغرفة الحمام. لم يعتد أن يتغدى فى البيت، لكنه كان يفطر ويتعشى فيه، وهو ما اضطره إلى ادخار بعض المؤن. وبدون أن ينتبه تقريبا، كما لو كان لا يود أن يجرح كبرياءه، كان قد اكتسب بعض العادات الغذائية الخاصة بمانويل. ومن حين لاخر، وبشىء من تأنيب الضمير، كان يفتح احدى زجاجات نبيذه. كان لديه ما يقرب من ستين زجاجة، موضوعة فى دولاب الدراسة بشكل لم يستطع خوليو أن يفهم مغذاه.

كان يلقى القمامة يوميا، لكنه لم يضعها بجانب قمامة الجيران، وانما كان يأخذها بعيدا ويضعها فى احدى حاويات الشارع. وفى هذه

الرحلة، كان يقترب دائما ليلقى نظرة على الموتوسيكل، الذى كانت حالته تتدهور بإيقاع سريع. كانوا قد انتزعوا المرآة الاخرى بالاضافة لمصدة الهواء والاطار الامامى. كان واقفا فى مكانه بشكل مضطرب، بتنك بنزين عار، كحيوان جريح. كان من الغريب أن يواجه خوليو هذا المنظر بلا مبالاة فمنذ أسابيع قليلة مضت كان منظرا لا يمكنه احتماله. فى أوقات الفراغ، كان يطل برأسه على الفناء الداخلى الذى يربط غرف العمل بالشقتين وكان ينظر لملابس لاورا المنشورة. لقد جددت ملابسها الداخلية واشترت مجموعة بلوزات جديدة. وعندما كان يحل الليل، مختبئا فى الظلام، كان يتجسس على ما كان بيته. لو كان باب غرفة الدراسة مفتوحا، كان يلاحظ حركات ظل زوجته. أحيانا، كانت لاورا تدخل الغرفة وتتأخر فيها. كانت تخليها من أشيائها، كما لو كانت ستخصصها لشىء لم يستطع خوليو أن يتنبأ به. أحيانا، كانت المرأة تقترب من النافذة وتظل برهة متأملة غرفة مانويل. كان خوليو حينئذ يكتم النفس، لكنه كان يعلم أن وجوده، بين الظلمات، كان وجود شبح. لم يكن هناك أى خطر فى أن تكتشفه.

ذات يوم، فى الصباح، واثقا من أن لاورا بالعمل، ومتحققا أن كل نوافذ الشقق الأخرى مغلقة، أطل على الفناء ومد يده على المنشر حتى طالت يده بعض قطع من الملابس الداخلية لزوجته، فانتزعها بحذر. كانت عبارة عن سوتيان ولباس صغير، كلاهما حديث الاستعمال، وكانا يحتويان على قبح ما هو جديد. وجد نفسه يتأملهما، عندما باغتته عدة دقات من تليفونه المحمول. كانت رسالة من أماندا. كانت تقول له إنها تدعوه على الغداء وتطلب منه أن يجلس مع الطفلة عدة ساعات. بعد أن قرأ الرسالة، عاد ووضع القطعتين الخاصتين على المنشر، وزحلقهما حتى وصلا مكانهما القديم فأغلق النافذة بحذر. هاتف أماندا بعد ذلك ليؤكد لها أنه سيرافق الطفلة. كانت الساعة الثانية عشرة ظهرا.

وصل بيت أماندا فى الواحدة والنصف. وبالرغم من أنها لم تره سوى

مرات قليلة، واحدة منها كان يرتدى ملابس مانويل، إلا أنها شعرت فيه بشىء جديد.

- لقد تغيرت - قالت.

- لقد قصرت شعرى - أجابها.

- ليس هذا.

- لقد هجرت الموتوسيكل.

- وهل هجر الموتوسيكل قرار هام؟

- نعم.

سارا حتى الممر، الذى كان يحتفظ بنفس الفوضى السابقة، كما لو كان هناك شخص يعتنى بهذه الفوضى حتى لا تزيد، ولا تقل أيضا. اقتربت منه الصغيرة وقبلته بإرادتها.

- لم أذهب للمدرسة لأننى مريضة - قالت.

- إنه لاشىء، مجرد نزلة برد، وفى الصباح كانت درجة حرارتها مرتفعة. لقد انتهت من أكلها - قالت أماندا .. من الملائم أن تنام قليلا وقت القيلولة. إن لم تفعل، ستصير حالتها مستحيلة.

جلسا على طرفى الكنبة، ينظر كل منهما للآخر نظرة مختلفة عن النظرات السابقة، كما لو كان كل منهما يحسن حدود تجاوزه مع الاخر.

- لقد أصبح أفضل هكذا، وهو قصير - قالت هى.

- ماهو؟

- شعرك، ماذا سيكون!.

- آه، هكذا أكثر راحة، اغسله ولا أمشطه. بدون مجفف ولا شىء - قال هذا وهو ينظر لفوطة أماندا التى تضعها على رأسها، فى شكل عمامة.

- لقد انتهيت توا من الاغتسال. كنت سأذهب لأجففه. لهذا ارتدى البرنس.

- لماذا لا تقصرين شعرك؟

- لان الرجال يحبون فى النساء الشعر المسترسل على الظهر. حسنا، الرجال يحبون كل شىء، لكن المرأة التى تسود فى رأسهم، لها شعر مسترسل.

كان بداخل طفاية السجائر الموجودة فوق الترابيزة سيجارة حشيش أطفئت فى منتصفها، اخذتها وأشعلتها من جديد، مائلة برأسها كثيرا ناحية احد الجوانب، حتى لا تحرق نفسها بلهيب الولاعة. بعد أن أخذت نفسا، قدمتها لخوليو.

- لا أريد الآن - قال هو.

- أما أنا - اضافت وهى تغير مجرى الحديث - اتخيل الموتوسيكل كجراحة تعويضية

- جراحة تعويضية؟

- نعم، بكل معانى الكلمة. إنه شىء يستخدم ليحل محل عضو ناقص.

ولأن خوليو ظل ينظر اليها بتعبير المتسائل، فقد واصلت حديثها:

- الشىء الذى لا نعرفه أى عضو عوضته انت بالموتوسيكل.

كانت العبارة تحمل فى نبرتها معنى من النية الجنسية التى هتفا لها بالضحكات.

سحقت أماندا عقب السيجارة فى سطح الطفاية وأضافت:

- لقد بدأت فى دراسة علم النفس، لكننى توقفت. أمى تعتقد اننى أنهيت هذه الدراسة. والامر يكمن فى انه ذات يوم جاء احد المشاهير فى المجال والقى محاضرة عن التعويضات النفسية.

- التعويضات النفسية؟

- نعم، الحسية، التى لا يمكن رؤيتها، لكنها تتصرف. على سبيل المثال،

من الممكن جدا أن تخلق ابنتى، عندما لا يكون لها أب، أبا داخليا، أبا لا يمكن رؤيته، تعويضا عن الاب الحقيقى الغائب. وطبقا لما هو مرئى، فإن لكل منا نصيبا من هذا التعويض بهذه الطبيعة، لأن فى المجتمعات المتقدمة يكون الجسد النفسى مبتورا اكثر من الجسد الفسيولوجى. لو تمكنا من رؤية الجسد النفسى كما نرى الجسد الفسيولوجى لأصابنا الذعر. لإنه فى غاية التعب.هذا هو ما قاله هذا العالم. لكنى لا اتذكر ما اسمه.

- وهل يوجد فى التعويضات النفسية أصناف ايضا؟ اريد أن اقول، بنفس طريقة الايادى الصناعية المصنوعة من الفولاذ أو التيتانيوم... فالتيتانيوم غال جدا.

- اظن الامر كذلك، لانه يتوقف على المواد الثقافية التى يتزود بها كل منا .انا اتمنى أن تصنع ابنتى ابا من التيتانيوم لاننى سأجعلها تواصل دراستها.

شرع كل منهما فى الضحك بعد دعابة أماندا، التى اضافت فى الحال:

- ياله من حوار.

- بالطبع.

نظرت المرأة فى الساعة ، وظهرت الدهشة على وجهها.

- متى عليك أن تذهبى؟ - سأل خوليو.

- الان، بعد برهة.

- لكن الم تدعينى على الغداء؟

- نعم، لكن ليس معى. تستطيع أن تعد أنت أى شىء.

نهضت هى فى عجلة وصعدت للشقة العليا. بينما ظل خوليو جالسا على الكنبة، مراقبا الطفلة التى كانت تلعب بعروسة. كان جائعا، لكنه

قرر أن ينتظر حتى يبقى وحده، مع الصغيرة. لم تتأخر أماندا فى النزول. كانت ترتدى، بالرغم من الوقت، ما بدا له فستان سهرة وقد جففت شعرها بحيث أصبح اشعث، فشعر بنوع من الفوضى.

- ستشعرين بالبرد بهذا الفستان.

- الان سأرتدى معطفا. فحيث أذهب يكون الجو حارا.

فى هذه اللحظة جاء التاكسى المكلف بتوصيلها فودعته. وعند الباب، عادت أماندا لتضيف:

- اذا استطعت أن تنيم خوليا وقت القيلولة ولم اعد حتى الخامسة، أيقظها من نومها. وإلا ستزعجنى ليلا.

عندما خرجت، توجه خوليو إلى المطبخ ومن ورائه الصغيرة. فى الثلاجة، بالنظرة المجردة، وجد بيضا، لبنا، زبادى، جبنا، وبعض الخضراوات الحزينة بعض الشىء، وكشفت له خوليا، فى الجزء الاسفل، بيتزا شاحبة، ذات منظر نىء، داخل علبتها.

- عليك أن تضعها فقط اربع دقائق فى الميكروويف - قالت.

اخرج خوليو البيتزا من علبتها وأدخلها فى الفرن.قسمها بعد ذلك مع الطفلة، التى اكدت، بالرغم من انها قد اكلت، انها جائعة. بينما كانا يأكلان، لاحظ درجة وساخة المطبخ. كان الحوض مليئا بالاوانى وفى الارض، حول جردل القمامة، المتكدس حتى حوافه، كانت توجد بقايا فاكهة ومجموعة علب زبادى. لو نامت خوليا قليلا، فكر، سيستطيع قليلا تخفيف هذه النكبة.

- هل ستنامين القيلولة؟ - سأل.

- لو حكيت لى حدوتة...

- لقد حكيت لك واحدة قبل ذلك.

- اذن ستحكى لى اليوم اخرى عن نفس البلد.

- الحكاية إننى لا أعرف ماذا حدث اكثر من ذلك فى هذا البلد.

- ألا تعرف إن كانت العرائس تولد بظل أم بغير ظل؟

تأمل خوليو بعض اللحظات. وأخيرا قال لها:

- ذات مرة أنتج المصنع عروسة بلا ظل.

- لماذا؟

- بسبب خطأ فى عملية الانتاج.

- وما هى عملية الانتاج؟

- هى مجموعة المراحل التى تمر بها العروسة عند تصنيعها.

- حسنا، أكمل.

- ادخلى للسرير أولا.

- انام القيلولة عادة على الكنبة.

- اذن فلنذهب إلى الكنبة.

حمل خوليو الطفلة من يدها وقدمها حتى كنبة الصالون، حيث استراحت. بعد ذلك جلس بجوارها وواصل الحدوتة:

- وقعت العروسة فى يد طفلة هوائية لا تفعل شيئا سوى الشكوى من هذا العيب. كان أبواها، لكيلا يسمعا شكواها يعطيانها كل ما تطلب، فبحثا لها عن ظل لعروستها، لكن فى هذا البلد لم تكن هناك محلات لظلال العرائس. ذات يوم، عند خروجه من مكتبه، رأى الأب عاملة النظافة تصحب ابنتها لعمله. "لماذا؟"، سأل الرجل غاضبا. " الامر هو اننى لم أجد أحدا لأتركها معه، يا سيدى "، اعتذرت السيدة. بينما كانت الطفلة واقفة، تمص أصبعها. كان الجو ليلا وضوء المكتب يعرض ظل الطفلة على الحائط. انتبه الرجل أن ظل العروسة يساوى ظل الطفلة حجما، وبالتالى سرق ظلها وأطفأ النور، حتى لا تشعر هى ولا أمها أن هناك شيئا ينقص.

- وماذا بعد؟ - سألت خوليا عندما رأته صامتا.

- أغمضى عينيك. هكذا. حسنا، أخذ ظل الطفلة إلى البيت ووضعه للعروسة.. ولان الظل ظل إنسان حى، كان يتحرك حتى ولو كانت العروسة ساكنة. ولتبرير هذه الندرة، قال الأب إنه ظل غالى السعر، طلبه من الخارج، حيث إن بلده لم يكن به هذا الظل. بعد قليل، بدأت العروسة تسعل، كما لو كانت طفلة حقيقية. ذات يوم تقيأت، كإنسان. وبعد ذلك، أصابتها الحمى وبعد مرور عدة أيام فظيعة، ماتت. وفى نفس اللحظة التى ماتت فيها العروسة، خرج الظل من البيت ولم يعودوا يعرفون شيئا عنه ولا عن عاملة النظافة، التى تركت العمل.

حتى هذا الحدث، سكت خوليو. حركت الطفلة شفتيها كما لو كانت تحاول أن تقول شيئا، لكن النعاس تغلب على رغبتها فى البقاء مستيقظة.

عاد خوليو إلى المطبخ، ارتدى المريلة التى وجدها خلف الباب وبدأ فى ترتيب كل شىء. بدأ بأوانى الحوض، بعض هذه الأوانى كان متسخا منذ ثلاثة أو أربعة ايام، حيث كان ملتصقا بسطحها بقايا طعام. بعد الاوانى، جاء دور غطاء وأعين البوتاجاز. كان القيشانى فى حاجة للمسح، لكنه خمن أنه سيحتاج لكثير من الوقت ومازال أمامه الصالون ليرتبه، وبالتالى اقتصر على تبديل كيس جردل القمامة والمسح بالمساحة.

عند عودته للصالون، جمع الوسادات الصغيرة الملقاة فى كل جانب على الأرض ووضعها فى أحد أطراف الكنبة، عند قدمى خوليا، التى جمع لعبها أيضا فى أحد أركان الغرفة. بعد ذلك وضع الكراسى حول ترابيزة من الخشب واقعة فى أحد الاركان. أزاح أيضا الترابيزة ذات العجل التى كان التلفاز يعتليها، والذى كان موجودا بشكل سخيف بعيدا عن الكنبة. كانت المدفأة مليئة بملابس الطفلة، فأخذها وطواها بعناية ووضعها فوق أحد الكراسى. وبالرغم من أن الشقة أصبحت أفضل هيئة

بهذه التغيرات الطفيفة، إلا أنه أدرك أنه سيستغرق وقتا طويلا لينظفها طبقا للنموذج الذى اعتاده. بجانب الكنبة، على سبيل المثال، كان يوجد فتات خبز، ومجموعة اكواب قذرة اخذها وحملها للمطبخ. بعد ذلك، بقليل من الحماس، شغل مكانا بجانب الطفلة وأشعل التلفاز بالريموت كنترول، مانعا صوته. بعد أن قلب القنوات حتى أصابه الملل، تركه فى أى قناة، مد قدميه وظلت الصور تنيمه مغناطيسيا. بعد أن استقر فى شقة مانويل، فقد عادة مشاهدة التلفاز والان تثيره بغرابة. بعد قليل، غلبه النعاس وحلم انه يعيش مع لاورا من جديد وأنهما انجبا طفلا هو أماندا نفسها. لم يكن هناك أى تناقض فى أن تكون أماندا بالغة وامرأة، وبالاضافة لذلك تكون طفلا ذكرا. وجد خوليو نفسه يقدمها لـ لاورا كما لو كان يغير لها اللفة، وظهر مانويل فى المنظر سائلا عن اسمها.

- أماندا - أجابه خوليو.

كان خوليو حائرا وحزينا بسبب نظرة لاورا خائبة الامل. كان يعرف تغيير اللفة، لكنه لم يكن يعرف نوع ابنه.

استيقظ مرهقا ونظر فى الساعة. كانت قد تجاوزت الخامسة ولم تكن أماندا قد عادت بعد. أيقظ الطفلة، التى طلبت منه طعاما، وبالتالى ذهبا سويا للمطبخ، حيث أشارت له خوليا اين سيجد اللبن والكاكاو والبسكويت...

- هل تعرف أن تغسل الاطباق؟ - سألته الصغيرة عندما لاحظت نظافة المطبخ.

- بالطبع - قال هو.

- أمى لا تعرف، تقول أن غسيل الأطباق من أعمال الرجال.

- إنه من أعمال الانسان - أضاف هو.

بعد أن أكلا، ولأن خوليا ألحت فى أن تتحقق أن كل اشياء البيت تتمتع بظلها الخاص، بحث خوليو ووجد كشافا تركزت بؤرة ضوئه،

بالترتيب، على الاشياء التى كانت الصغيرة تقترحها، متأكدة أن كل الاشياء لها ظلها وفى حالة جيدة.

عندما عادت أماندا، وجدتهما يراجعان بدقة ظل واحدة من العرائس، التى اعتقدت الطفلة أن لها ظلا غريبا . اعتذرت بشكل تلقائى عن تأخيرها وصعدت لتغير ملابسها وتأخذ دشا.عادت بعد قليل، بالبرنس، وأثنت بلا حماس على ترتيب الصالون والمطبخ.

- تعتقد ابنتك أن غسيل الاطباق من أعمال الرجال - قال خوليو.

- وأنت برهنت لها على ذلك - أجابته هى بسخرية.

بالرغم من أن أماندا دعته ليجلس وقتا اكثر من ذلك، الا انها عبرت عن ذلك بشكل فهم منه خوليو أنها تريد أن تبقى بمفردها، وبالتالى تعلل بأن عنده موعدا ورحل.

■■■

عندما وصل البيت، خلع نعليه حتى لا يحدث ضوضاء. بعد ذلك، لأن الليل قد هبط، أطل برأسه على الفناء بحثا عن أى إشارة للحياة فى الشقة المجاورة. لكنه لم يجد أى اشارة ؛ لابد أن وردية لاورا بعد الظهر. فى هذه الحالة، لن تعود حتى الحادية عشرة، وربما بعد ذلك تخرج لتلهو مع زملائها. وعندما دخل الشقة، وقع نظره، كما فى مرات كثيرة، على الكمبيوتر الخاص بمانويل، لكنه هذه المرة خضع لوسواس فتح الجهاز. دخل فى ملف الوثائق النصية، بحثا عن رواية لم يجدها، بالرغم من أنه وجد مشروعا لمسلسل تليفزيونى. بحث أيضا فى " قائمة المفضلين " بالإنترنت بدون أن يجد أى شىء غريب. مرة أخرى، كان يتحرك فى خصوصيات مانويل مثل الصرافة فى الفيلم عندما كانت تتسلل لشقة العجوز الميتة. فقط لم تكن العجوز ميتة ؛ ولا مانويل أيضا. فى النهاية، فتح البريد الاليكترونى، حيث بدأت الايميلات تتراكم منذ أغلق الجهاز، وبعد أن انهى التحميل قرأ أحد الايميلات بالصدفة:

"حبيبى مانويل، حبيب قلبى، منذ يومين وأنا اسأل نفسى كيف أقول لك الخبر، كيف أخبرك إننى حامل، حامل منك. لم نتحدث إطلاقا فى هذا الاحتمال، لكن الحقيقة أننا كنا نستخدم كل مرة احتياطات أقل، كما لو كنا نحث على حدوث ما حدث فى النهاية. لقد سألت نفسى ايضا خلال هذين اليومين كيف سيكون رد فعلك أمام الخبر لو كنت

مستيقظا. هل كنت ستسر؟ هل كنت ستطلب منى أن اجهض نفسى؟ هل كنت ستحتار أهو ابنك ام ابن خوليو؟ فى السؤال الاخير لا تضمر أدنى شك، يا حبيبى، إنه ابنك، أنا أعرف هذا، فهذه الاشياء تميز جيدا ،لا تطلب منى أن أدخل فى تفاصيل الآن، حبيب قلبى. لا أعرف كيف ستستقبل الخبر، ابدا لم اسألك أن كنت تضع فى حساباتك أن تكون ابا، لكن المؤكد هو اننى انا من كنت دائما اذكرك باستعمال العازل الطبى. أحيانا كنت لا تتذكر حتى أن تشتريه. ألم يكن هذا الموقف احد اغواءات القدر؟ على أى حال، اريد أن تعرف انك لو كنت فى موقف يتطلب منك أن تتخذ قرارا وطلبت منى أن اجهض نفسى، سأفعل، سأفعل، حبى، فلا يكن لديك أدنى شك فى هذا. لكن الظروف أرادت أن اكون انا وحدى الملزمة بأخذ القرار وقد قررت، بعد أن قضيت ساعات طوالا بلا نوم، أن أترك الطفل يكبر بداخلى. من المؤكد أن العناية الالهية تدخلت فى أمر ظهور الطفل فى نفس اللحظة التى فقدتك فيها (بالرغم من انك ستستيقظ عاجلا أو آجلا).

فى نفس يوم الحادث بالضبط، صباحا، أجريت سرا اختبار حمل فى الصيدلية اكد شكوكى. كان من الممكن أن اهاتفك فى هذه اللحظة، نعم، لكننى فضلت الانتظار حتى أتاكد كلية، لان هذه الاختبارات عادة ما تخطىء. لكن القدر المحتوم أراد أن تصدمك سيارة فى هذا اليوم. اليوم أكد لى الطبيب حملى، هذا الطبيب الذى ذهبت اليه مبكرا بصحبة خوليو. خوليو لا يعرف شيئا، لقد طلبت منه أن يبقى بالخارج وبعد ذلك، عند خروجنا من العيادة اكدت له انه حمل كاذب (فلقد ارتكبت خطأ فى لحظة ضعف، لأننى وجدت نفسى وحيدة، حيث اعترفت له بأننى أجريت اختبار حمل). لكن لا تشغل نفسك بشىء، يا حبيبى، فلن أسمح له أن يصير هو أبا لابنك، لابننا. حتى الآن لا أعرف كيف ولا فى أى لحظة، سأطلب منه أن يرحل عن البيت لأبقى وحدى مع ذكراك وطفلك. بداية من اليوم، سأكتب يوميات الحمل وأرسلها لك على بريدك الاليكترونى حتى تستطيع معرفة ما حدث، يوما بيوم منذ الحادثة،

عندما تستيقظ من الاغماء، لاننى متاكدة أنك ستستيقظ، يا حبى، متأكدة، متأكدة، متأكدة. أحبك. لاورا."

أصبحت الغرفة بلا اوكسيجين. كان على خوليو أن ينهض من مكانه ويخرج بسرعة للممر، الذى لم يجده ايضا. أدرك حينئذ أن المشكلة لا تكمن خارجه، وإنما داخل نفسه. لقد تجمدت رئتاه بشكل اصبح معه عاجزا، بالرغم من فتح فمه، عن التنفس. تذكر حينئذ الموتوسيكل، الذى احيانا يسد فلتره، وهو ما يمنع حركة البنزين للموتور مسببا للماكينة، قبل أن تتوقف، حركات تشنجية شبيهة بالتى يعانى منها الان. ضرب صدره مرة واثنتين وثلاثا، شهق كسمكة ممسكا بإطار باب، وأخيرا وقع مغشيا عليه غارقا فى عرقه.

بعد وقت غير معلوم، بدأ يستعيد إدراكه تدريجيا، وشعر أن إدراكه يشبه ضوءا يقترب ببطء من الأفق. وعندما اقترب هذا الضوء، فتح عينيه وأذهله كم الظلام الخارجى. لابد أن بالخارج ليلا شديد الإظلام. عندما وضع يده على جبهته، ليمحو احساسا مكروها، لمس مادة لزجة كانت على وشك التجمد. كان دما. لقد اصطدم بشىء عند وقوعه، لكن الجرح، الصغير جدا، كان قد كف عن التدفق. جاءت القوة البدنية وراء استرداد الادراك، بشكل بطىء ايضا ومرتب، كجيش يأخذ وضعه على أبواب مدينة على وشك اقتحامها. عندما استوى فى مجلسه، شعر بنفسه كالعائد للحياة. ثقبت عيناه ظلمة الممر بحثا عن الغرفة الداخلية، حيث تبعث شاشة الكمبيوتر إضاءة شبحية. لو عادت لاورا واطلت على الفناء، ستستطيع أن تلتقط هذا الضوء، بالتالى توجه لهذه الغرفة بنية إغلاق الشاشة. كان يسير ببطء، يسيطر عليه شوق هادىء، كمن يحسب إمكانيات جسد حديث الولادة. بعد أن فصل الجهاز، أطل من النافذة ولم يلحظ أى حركة فى الشقة المجاورة.

واثناء ذلك، سمع صوتا صادرا من المصعد، فهرول بحذر ناحية باب الشقة، واطل من العين السحرية، التى رأى من خلالها زوجته تخرج من المصعد وتبحث فى داخل حقيبتها عن المفاتيح. لم تطل الرؤية اكثر من

ثانيتين أو ثلاث، لكنها تميزت بأنها من الثوانى المطاطة التى يكتسب الزمن فى مواقفها تحديدا خاصا. فخلال هذه الثوانى المرنة، أدرك خوليو سبب ارتدائها للملابس الواسعة التى كان قد رآها فى مرات سابقة وانتبه، بدهشة، إنه كان يعرف أنها حامل. فقط نطلع على ما نعرفه، قال لنفسه، وحاول التحقق من الفترة التى بدأ يعرف فيها التفاهم بين مانويل ولاورا. وخلال دقائق، بدون أن يبتعد عن الباب، وصل للنتيجة: كان يعرف ذلك منذ الابد. والمدهش أن كلمة " منذ الابد " تعنى طيلة حياته. كان يعرف ذلك وهو تلميذ بالمدرسة، وهو طالب بالثانوى، وهو فى أكاديمية الديكور... كان يعرف ذلك قبل أن يتعرف على لاورا، قبل أن يعرف مانويل، قبل أن يتزوج، كما لو كان نبوءة اطلعوه عليها فى الزمن البعيد ووقعت فى طى النسيان. منذ عدة اشهر، بينما كان يعمل فى ديكورات مسلسل تليفزيونى، ادهشه أن يسمع المخرج يتحدث عن "التوراة "، الذى كان كتابا قد سبقت كتاباته السيناريوهات وكان يصف بدقة طبائع الاشخاص. كل ما كان يحدث على طول المسلسل كان مستنبطا من هذه الكتابة المقدسة الاولية التى لابد أن يعمل كتاب السيناريو بمقتضاها. شعر خوليو أنه ايضا نتاج لتوراة ما قد كتب فيها ما قد تحقق الآن من وقوعه.

فى هذه الليلة لم يعد ليطل على الفناء الداخلى. بهذا الانكسار الذى جاء ليكمل مصيره المحتوم، ذهب لغرفة الحمام ونظف نفسه من دم وجهه متفاديا أن ينظر لنفسه فى المرآة. بعدها خلع ملابسه ودخل فى سرير مانويل. كان مرهقا، ليس بسبب تأثير هذا اليوم، وانما الحياة بأكملها. يجب أن أنام، فكر، بحياتى كاملة لاستعيد نفسى من هذه النكسة. بعينين مغمضتين، وفى وضع الجنين. سمع موسيقى قادمة من الشقة المجاورة، من شقتها. كانت الموسيقى، القادمة من هذا المكان الذى تعيش فيه الآن زوجته تصل إلى هذا المكان الذى يسكنه هو الآن، وتتوجه بلا شك إلى المضغة، إلى الجنين، إلى ابن مانويل. كانت لاورا تعتقد بقصص ماوراء القبر، ما وراء الرحم ؛ لو ضبطت صوت الموسيقى،

ستتسلل النغمات إلى بطنها وستختلط بعظمها فى شكل جنين، بأنسجة جسدها، بأمعائها. حاول أن يمثل الطفل، المنقبض بين تضاريس اللحم مثله بين تضاريس الملاءات، وفى النهاية نام دفاعا عن نفسه.

فى الصباح، إعاده منبه لاورا إلى نفسه، وبالرغم من انه كان يدق فى عالم آخر ولعالم اخر، إلا أنه كان يثير انفعالات فى عالمه. وبدون أن يتحرك من السرير، قرأ كل الضوضاء الصادرة من زوجته فى الشقة المجاورة حتى سمعها تخرج. ربما تبدأ من اليوم الوردية الصباحية، أو ربما غيرت مع زميلة لها. منذ أن عاشت بمفردها، فقد جدولها الانتظام المعهود. بعد أن صبر عدة لحظات، فربما تعود لتأخذ شيئا قد نسيته، (وهو أمر معتاد)، نهض من السرير، لبس برنس مانويل وتوجه لغرفة الدراسة، حيث اشعل الكمبيوتر ليواصل قراءة الرسائل التى كتبت له منذ بداية الزمن.

كانت بداية الزمن سابقة على إقامة مانويل بالشقة المجاورة، اكتشف الايميل الاول، الذى كان الايميل التأسيسى، والذى كان الجرثومة الاولى لكل ما جاء بعد ذلك، وفيه كانت لاورا تقول لمانويل انها، بالرغم من انها تكره الكمبيوترات، قد قررت فى النهاية أن تفتح بريدا اليكترونيا لتظل على اتصال به.قالت:

"قد يذهل خوليو لو علم أننى الآن جالسة فى كافيه نت، واستخدم هذا الجهاز. دائما ما لامنى على قلة اهتمامى بهذه التكنولوجيا. ربما عند رفضى لها، احمى نفسى منك، كما لو كنت اعرف بالحدس أن من خلال الكمبيوتر من الممكن أن اضل كما قد حدث بالفعل وضللت فى البداية، حبيبى مانويل، هذه الكلمات تبدو اولى كلمات حياتى ".

من خلال هذا الايميل والايميلات التالية، استنبط خوليو أن لاورا ومانويل قد تعرفا قبل أن يكونوا جيرانا، فى صالة المساج التى تعمل فيها هى، حيث ذهب إلى هناك كزبون بحثا عن علاج لآلام ظهره. اوقعه الحظ فى يد لاورا، التى اعطته تدليكا تقليديا، مرخيا للعضلات، جعله يجلس بشكل رائع، وبعد أيام قليلة عاد مرة اخرى، لكنه عاد ليطلب

خدماتها. فى هذا الايميل الذى يراه الآن أمام عينيه، كانت لاورا تصف بتمهل المشاعر التى كانت تنتابها عندما تدلك بيديها هذا الجسد. " كانت "، بكل مبالغة، "كما لو كنت عند تدليك عضلاتك اخلقها من جديد ". كانت تقول أيضا إنها فى صغرها كانت تعشق عمل تماثيل من الصلصال، لكنها قد نسيت هذه المتعة حتى امتلكت بين يديها لحم مانويل. " ربما "، اضافت، " لم تنتبه أنت لذلك، فى بعض المرات كنت أترك عمل المساج لأفصص جسدك ".

كانت الايميلات، كلما تقدمت الايام ناحية الحاضر، تفقد محتواها وتدخل فى خصوصيات جنسية اكتشف خوليو من خلالها لاورا أخرى غير التى عاشرها. " انا لم اشعر بشىء "، قالت، " مع أى رجل حتى جئت أنت. أنا (الخبيرة بالجسد البشرى) كنت لا أعرف ولا حتى من بعيد امكانيات جسدى حتى عرفت جسدك. أنا، يا مانويل يا حبيبى، يا حب قلبى، كنت اجهل، صدقنى، معنى أن أبلل لباسى الداخلى عندما أفكر فى رجل. لم أكن أعرف أن جسد المرأة من الممكن أن يذوب، بالمعنى الحرفى للكلمة، حتى لمستنى يداك...".

فى ايميل آخر، كانت تتذكر اليوم الذى طالت يد مانويل، الذى مازال مريضا، على ساقها، وكانت مدلكته حينئذ، وشعورها الناتج عن هذه المبادرة. قالت " كنت كما لو كنت قد انتهيت من خلقك بيدى، وانت قد استويت فى مجلسك، حديث الخلق، مازلت ساخنا، مثل آدم بعد أن نفخ فيه الله من روحه، وتستعد لترد لى الجميل خالقا انت جسدا حقيقيا من أجلى، لاننى كان ينقصنى، حبيبى، جسدا خاصا بى حتى وهبتنى انت هذا الشكل. كنت امتلك، نعم، المادة الخام، الطينة الانسانية، لكنها كانت مشوهة، لا إحساس فيها ولا مفاصل ولا دوائر. لقد كان جسدى بيتا خاليا، مظلما، رطبا، حتى دخلته انت وأضأت شموعه وأشعلت المدخنة، لتسكنه.

كانت هذه اللغة التى تستخدمها لاورا مجهولة بالنسبة له، واحيانا كان يشك فى أنها تنتسب لها، لـ لاورا، التى كانت زوجته، والتى مازالت

حتى ذلك الحين زوجته .عندما كان يقرأ هذه الرسائل، التى كانت مختصرة بشكل عام، بالرغم من انها مكثفة، كان يشعر باستثارة جنسية لم يعرفها قبل ذلك فى نفسه، كما لو كان شخصا آخر. ربما يكون مانويل؟ . الذى يستثار من خلال جسده.

على مدار رحلته الرسائلية، صادف ايميلا كانت فيه لاورا تبلغ مانويل أن الشقة قد اصبحت خالية تلك الشقة المجاورة للشقة التى كانت تعيش فيها مع زوجها. كانت تقترح عليه أن يستأجرها، أو يشتريها، ليصبحا بذلك اكثر قربا. لم يندهش خوليو من التأكد انه كان يعرف أن لاورا ومانويل قد تعرفا قبل أن يصبح جارهما .كيف كان من الممكن أن يعرف شيئا ويجهل فى نفس الوقت انه يعرفه؟

بداية من هذا الايميل، تغيرت نبرة الرسائل. الآن أصبح مانويل يعيش بجوارهما. كان العاشقان، على انفراد أو بصحبة خوليو، يلتقيان باستمرار وكانا يتبادلان الرسائل من خلال الجدران (" غدا، فى السادسة، سأدير أسطوانة الموسيقى بصوت مرتفع، لتعرف اننى أديرها من اجلك "....، " خطر فى بالى أنه لن يحدث ضرر، حبيبى، لو احدثنا ثقبا صغيرا فى حائط غرفة الحمام، خلف المرآة، لنرى بعضنا ولنتحدث من خلاله "....، " لقد فقدت بعض الالبسة الداخلية من المنشر، هل أخذتها انت؟". كانت لاورا تعلق بسعادة على المهارة التى يطوران بها علاقتهما ليتواصلا، ليلتقيا عند مدخل البيت، فى المصعد، عند السلم.. احيانا كانت تروى له، كما لو كانت حقيقة، الاطياف غير الحقيقية. " تخيلت جسدى الليلة الماضية يتفتت إلى ذرات ليعبر الجدار الذى يفصل بيننا. كل شىء كان فى بدايته وهما، لكن اقسم لك، يا حبيبى، انه بعد قليل شعرت اننى أتفتت فى الواقع، أتفتت لذرات، وكل ذرة من ذراتى كانت تعبر هذا الجدار. وبعد أن عبرت للجانب الاخر، اجتمعت ذراتى من جديد ونمت بجانبك، وكنت نائما، فأخذتك من وسطك. ستضحك، حبيبى، مما اقوله، لكن اقسم لك انه كان واقعا. فى الصباح، استيقظت فى غرفة نومى، بجانب خوليو، لان الذرات، خلال الحلم، قد عادت إلى

مكانها بدون أن تأخذ إذنى."

وما يستنبط من هذا الايميل انهما كانا يتضاجعان فى شقة مانويل، وأحيانا أثناء عمل خوليو فى الشقة المجاورة. فى هذه المرات، كانا يمارسان الحب كشبحين، بلا ضوضاء ولا هزات، حتى لا يسمعهما الزوج المخدوع. كانت لاورا تؤكد، بعيدا عن تعايش هذه المرات كقيود، أن هذه العوائق كانت تمثل لها فرصا لتطور إبداعها العاطفى.

بينما كان يقرأ، تذكر خوليو بعض المرات التى وجد نفسه فيها وحيدا فى البيت، محاولا العمل، لكن كان يقتحمه نوع من الثقل غير المفسر الذى كان يمنعه من التركيز. تذكر انه احيانا، باحثا عن السكينة، كان يترك العمل متوجها لغرفة النوم ليمارس فوق السرير بعض تمرينات النفس التى تخفف هذه الحالة النفسية الكريهة. الان يدرك أن سبب هذا الضيق كان يوجد فى الجانب الاخر من الجدار وفهم لماذا كانت لاورا ترفضه، لماذا كانت تدخل للنوم مبكرا وعندما يأتى وراءها لغرفة النوم كانت تتظاهر أنها نائمة. تخيل مانويل لاصقا اذنه على الحائط فى محاولة منه لاستنباط حركة الزوجين من خلال الضوضاء الحادثة فى الشقة المجاورة.

كانت بقية الايميلات، كما هو الحال فى الافلام الاباحية، تكرار مضطرب لنفس المناظر. كان استسلام لاورا لمانويل يصل احيانا لحد الجور، مثل أسفها عن فقدها لثقافة معينة لتفهم ذوق عشيقها."سأقرأ "، كانت تقول، " الكتب التى تقرر انه من المفروض أن اقرأها ؛ سأستمع للموسيقى التى تعتقد اننى يجب أن أسمعها ؛ وسأشاهد الافلام التى تظن اننى يجب أن اشاهدها ؛ لأنى اود أن اصل، يا حبى، لمستوى ذوقك. لقد مررت اليوم بمكتبة ورأيت الكتاب الذى كان عندك، اليوم السابق، فوق الكومودينو. كنت على وشك أن اشتريه، لاضعه فوق الكومودينو الخاص بى، لكننى خشيت أن يسألنى خوليو عنه. احيانا يخيفنى خوليو. لقد لاحظ البعد الذى فرضته عليه ولم يفهم السبب. إنه رجل، لا أعرف كيف أصفه لك، مظلم، غير واضح. ستقول لى انه كان هكذا دائما فلم

لم انتبه قبل ذلك؟! وهذا حق، لقد كان دائما إنسانا معقدا، لا أعرف ماذا سيكون رد فعله لو علم بعلاقتنا .انه لم يبرز ابدا مشاعر غيرة أو حب تملك، ذلك لأنه مقصر جدا فى أمور الحب. ومع ذلك، يمتلك مهارات خارقة فى الحقد والحسد .انت لا تعرف كم يكرهك، وهذا بكل بساطة لأنه يتمنى أن يكون مثلك. أحيانا، وصلت فى تفكيرى اننى لن اعيش بجانب واحد من هؤلاء المجانين الذين يعيشون حياة طبيعية حتى تحدث لهم واقعة خارجية تنبههم كلية من هذا الجنون. منذ أن ظهرت فى حياتى، أشعر بالخوف منه، هذا الخوف الذى ربما كان موجودا قبل ذلك، لكننى قد تعودت عليه، مثل هؤلاء الناس الذين يعيشون فى مواقف مرعبة لكنهم غير مدركين لها لانه تنقصهم عناصر المقارنة.انا اعرفه منذ سنوات المراهقة. إلتقيته فى موقف الاوتوبيس الذى يوصلنا للمدرسة. وخلال الطريق، كنا نتحدث عن هذا وذاك.شعرت معه بالراحة لأنه كان ولدا مختلفا عن الآخرين، لا أعرف، كان اكثر حساسية وهدوءا. واعتقد اننى خلال كل هذه السنوات لم انزل من هذا الأوتوبيس، الذى نظرت من نوافذه للحياة، كما لو لم تكن هناك حلول اخرى. وكنت ساظل بداخله، يا حبيبى، أقطع دائما نفس الطريق، لولا أن لاح لى طيفك وأرانى أماكن أخرى يمكن من خلالها أن أرى الحياة. اعتقد اننى قد تعودت على خوليو كما تعودت على الكبدة البانيه، التى لم أكن أحبها وأنا صغيرة، وبالرغم من ذلك قبلتها لأننى كنت اجدها دائما أمامى فى الطبق، كما لو كانت قد ولدت مع الحياة."

كان خوليو يتذكر، كل برهة، أن يتنفس شهيقا وزفيرا لأن رئتيه كانتا تتوقفان عن الحركة لا إراديا. أحيانا كان ينسى أن يتنفس خلال عدة ثوان، بعدها كان يلهث ليستعيد إيقاعه.

منذ تاريخ دخول مانويل المستشفى، اكتسبت رسائل لاورا نبرة مختلفة. كانت تكتب لعشيقها كما لو كان مستيقظا وكانت تحكى له، فى بعض الاحيان بالتفاصيل المملة، ما قد فعلته طوال اليوم، المرات التى تذكرته فيها، المعاناة المفترضة لمداراة هذا الالم. قالت فى أحد

الايميلات:

"لقد رفعت السماعة عندما اخبرونى بالحادث. كان خوليو أمامى وبالرغم من أن جسدى طلب منى أن أصرخ، أن أزرف الدموع، أن أهرول جريا، أن اطلب النجدة، وجدتنى مضطرة لأكتم كل هذا. لا أدرى كيف استطعت أن أتمالك نفسى، يا حبيبى، بالرغم من اننى لم اتمالكها كلية، حيث قال خوليو بسخرية أنه يبدو اننا اصبحنا أرملين. لا يمكن أن تتخيل إلى أى مدى كان قوله صائبا، على الاقل فيما يتعلق بى. اعتقد انه، من داخله، أسره الخبر. ربما يعرف بعلاقتنا اكثر مما يظهر."... " لقد جاء أبوك، لكن خوليو احتكره لنفسه. ولأن عمله اكثر حرية فى مواعيده، يبقى معه فى الوقت الذى اكون فيه فى صالة المساج. لكن هذا لا يهمنى، بل إننى لا أفضل معرفته. ربما يثير خجلى أن اقف امامه لاننى اعتقد احيانا انه مكتوب فى جبهتى اننى ملكك. لو لم يكن الامر مؤثرا للغاية، كانت ستضحكنى علاقة زوجى بأبيك: انه يكرهه، كما يكرهك، لأن لديه كل ما يتمنى زوجى أن يمتلكه (لا اتحدث عن الاشياء المادية)، لكنه ايضا معجب به، كإعجابه بك. لو ترى كيف يقلدك احيانا، بدون أن ينتبه..."

كان الجزء الاخير من الرسائل مخصصا، بشكل شبه حصرى، للحمل.كان عبارة عن نوع من اليوميات المسافرة التى تسجل فيها لاورا كل حركة داخل رحمها.

"لقد ذهبت اليوم للطبيب، عمل لى سونار واخبرنى انه ولد. وهو ما كنت اتمناه فى قرارة نفسى، أن يكون ولدا فيذكرنى دائما بك..." لا اريد أن أفكر فى ذلك، يا حبى، لكن فى حالة عدم عودتك من حيث تمكث الان، سأربى هذا الطفل كما كنت سأربيك، أدلكه كما كنت أدلكك، أشكله كما قد شكلتك، وسأعيدك للحياة من خلاله بفضل عنايتى به."

حسنا: " بالرغم من أن كل الناس يقولون انه مستحيل، لأن الجنين حتى الان لم يتطور بشكل واضح، الا اننى لاحظت اليوم انه يتحرك بداخلى..."

وايضا : " أفكر أحيانا انك تقرأ هذه الرسائل بشكل أو بآخر، ربما عندما اشرع فى كتابتها .نعرف اين يرقد جسدك، فى سرير المستشفى، لكننا لا نعرف اين تتجول روحك.لا تسخر منى لاننى اؤمن بالروح اكثر من ايمانى بالجسد. فعلاقة حبنا لا يمكن أن تفسر فقط بالمعنى الفسيولوجى.لكن،حتى ولو قليل، انا اعايشك بشكل واقعى. لو كان الطفل (الذى هو امتداد لك) قادرا على سماع الموسيقى التى أديرها من اجله، لماذا لا يحتمل أن يقرأ افكارى ويوصلها لك؟"

عند الانتهاء من قراءة هذه الرسالة، سمع رنين هاتفه المحمول. بدا له الرنين كأنه قادم من عالم آخر، من زمان ومكان مختلفين عن هذا الزمان والمكان اللذين يجد نفسه بهما الان مقيدا. ومع ذلك، كان التليفون فى متناول يده. أجاب. كانوا يهاتفونه من شركة الانتاج، ليذكروه أن لديهم اجتماعا هذا الصباح. تعلل انه مريض، طريح الفراش، مصاب بحمى، حمى شديدة، ليثير فيهم الشفقة عليه فاعتذر المتصل على الإزعاج. بعدها نهض، سار لاهثا فى كل أركان الشقة، كما لو كان كاتما انفاسه منذ قرن من الزمن. كان يشعر بنفسه كالذبابة التى، بعد أن حاولت عبور زجاج النافذة مئات المرات، تسير الآن منهكة حول اطار النافذة، عاجزة عن رفع جناحيها، كما لو كانت الجاذبية الارضية، أو ثقل الذبابة نفسها، أصبحت مفرطة. لقد قضى كل حياته يناوش هذه النافذة التى على جانبها الاخر، يوجد العالم الذى لا يمكن النفاذ اليه.

عندما استعاد ايقاعه التنفسى، عاد ليجلس امام الكمبيوتر، أغلق صندوق الوارد وفتح الان الرسائل المرسلة. ولأنه على معرفة بتواريخ رسائل لاورا، دخل فى الحال على الرسالة الاولى:

"حبيبتى الغالية جدا لاورا"، وقال، " كم هو رائع قرارك أن تستخدمى هذه التكنولوجيا. لا تكتبى لى أبدا من كمبيوتر خوليو، على سبيل الاحتياط. انت ترين أن هناك اماكن كثيرة يمكن منها أن تقرئين رسائلى وتردين عليها بدون أى مخاطرة. عليك أن تعرفى ايضا أن جسدى، قبل أن تشكليه، كان طينة جامدة وهبتها انت شكل الرجل بيديك، ونفخت

فيها من روحك..فى سرير صالة المساج، كان يروق لى أن اظل بوجهى فى وجه الارض، لاننى عندما ادخل وجهى فى الفتحة الواقعة بمحاذاة رأسى، استطيع أن أرى بوقاحة رجليك فى ذهابك وايابك من جانب لاخر من جسدى ، كما لو كنت انا ارضا بعيدة وتأتين انت لتكتشفيها فى هذه اللحظة. خلال فترة ما، قرأت بعض الاشياء عن اكتشاف امريكا ووجدت فكرة ترى أن العالم بهذا الاكتشاف أغلق نفسه على نفسه، كما لو كان مركبا حتى هذه اللحظة من نصفين لم يلتق أى منهما بالاخر: عندما تلمسيننى بيديك، يحدث لى شىء مشابه: جرح يلتئم، قصة غير مكتملة تكتمل ، جزء يجد نفسه فى مكانه الكلى. أحيانا، خلال صمت صالة المساج، يأتى نفسك ليحدث شيئا فى الجو. أعرف فى الحال اننى لا يمكن أن اعيش خارج هذا الجو، خارج هذا العالم الكامن فيك، بنفس طريقة السمكة التى لا يمكن أن تعيش خارج الماء ".

لقد كانت الرسائل الاولى - أن لم تكن سفسطة صرفا المقصود منها جذب لاورا - تكشف وجها آخر لمانويل الضعيف، العفن، التابع، الذى اعجب به خوليو لقوته وحريته واستقلاله.ان فكرة أن يجد فى لاورا هذا البلسم الذى كان يفتقده، كانت تثير فى خوليو حسرة لا حد لها، تلك الحسرة التى كتب عنها مانويل، بشكل مدهش، فى إيميل آخر:

"إن الصفة الاساسية فى زوجك هى الحقد بالفعل. فما يملكه الناس أحسن دائما مما يملكه هو. هكذا يفكر، لهذا فهو لا يقدرك، يا حبيبتى. انه لا يشك فى أن تكون بيننا أى علاقة لانه لا يمكن أن يدرك أن أحدا قد يرغب فى شىء ينتسب إلى عالمه. فلو علم أننى اعشقك، قد يقبل قدميك قبل فوات عشر دقائق. هذه هى السمة الاساسية للمكارين. إنهم فقط يقدرون ما يملكون عندما ينظر له الآخرون. هو بالنسبة لى شخصية روائية ممتازة لأن داخل هذه الصرامة التى يتميز بها نجد عقداً نفسية مثيرة للاهتمام. انه يحقد على ويكرهنى فى الوقت نفسه، هذه حقيقة، لكنه لا يستطيع أن يعترف أن هناك مشاعر متناقضة تستحوز عليه. انه يتمنى اختفائى من هذا العالم، نعم، لكن ليس من أجل

أن يتحسن الكون، وإنما من أجل أن يحل محلى. لكن دعينا نتحدث عنك وعنى، عنى وعنك. الليلة الماضية، عندما وجدت نفسى فى حالة غفوة، تذكرت ما قد اقترحته من فتح ثقب فى حائط غرفة الحمام، وتخيلت أننى افتح فى حائطى هذا المدخل السرى لأتواصل معك. وبهذه الطريقة، سنتقابل فى لقاءات سرية وسريعة فى الغرفة الوحيدة بالبيت التى يمكنك أن تغلقى بابك فيها..."

كانت أغلب ايميلات الفترة الاولى عبارة عن تصريحات بالحب يعتريها تكلف لا يتواءم مع الفكرة التى كونها خوليو عن مانويل. فقط كان يظهر مانويل الحقيقى، مانويل الساخر، اللاذع، الجارح باستمرار، عندما يتحدث عن خوليو، الذى كان يشير اليه دائما بكل قسوة. « ... أثناء عشاء الامس وجدت زوجك معكرا بشكل واضح.انه يستنكر فى الآخرين ما يعجز هو عن الوصول اليه...» .

بعد قليل، وكما فعل قبل ذلك مع ايميلات لاورا، بدأ يقرأ ايميلات جاره سريعا، حيث كانت فى أغلبها تكرارا ميكانيكيا لتصنع الحب بأسلوب مكرر . أو هكذا بدا لخوليو .، لكن فى حالة مانويل كان من الاصعب شرح ما يجول بداخله من حالة لاورا. لم ينقص الرسائل عبارات جنسية:

"حبيبتى، دعينى أروى لك خاطرا مر بخيالى الليلة الماضية، أثاره إعلان شاهدته فى التلفاز قبل أن أدخل لأنام: تخيلت اننى دخلت غرفة حمام بيتك، ازحت المرأة الموجودة فوق حوض الغسيل، والذى خلفه لم يوجد جدار (حيث هدمته انا عندما كنت انت وخوليو تقضيان أجازتكما)، وكان يوجد فقط ظهر مرآتك التى طرقتها عدة مرات لأعلن لك عن وجودى.حينئذ، أزحت انت مرآتك ووجد كل منا نفسه امام الاخر، كما لو كان كل منا مرآة له. فبدأت انا امشط شعرى فى مكانى الحقيقى وانت تفعلين نفس الشىء فى مكانك. وخلعت انا ملابسى فى مكانى الحقيقى وانت خلعت ملابسك فى مكانك الحقيقى. وهكذا، جاءت اللحظة يا حبيبتى التى لم يعرف أى منا من هو الشخص

الحقيقى ومن هو صداه. وبعد أن فقدنا هذا الادراك، فقدنا حياءنا وقمنا بعمل الاشياء الخاصة التى يقوم بها الانسان عندما يكون بمفرده تماما داخل غرفة الحمام. بعد ذلك، وبعد أن تحررنا تماما من كل القيود فى نفس الوقت، عدنا إلى وضعنا الاول ومارس كل منا العادة السرية أمام الآخر دون أن يتوقف عن النظر اليه. حتى تأوهاتى، التى كنت أكبح صوتها حتى لا يصل لزوجك، كانت تبدو انعكاسا لتأوهاتك، أو العكس. بعد ذلك، عندما نزلت، أخذت بأصابعى جزءا من السائل المنوى وقدمته لك بدون أن اتخطى الخط الذى يفصل غرفة عن أخرى. أما انت، فقد كنت تدنين بلسانك لتأخذيه كمن يقبل صورته الشخصية فى المرآة، فى نفس الوقت الذى كنت تقدمين لى فيه السوائل النازلة من جسدك.أثناء ذلك، سمعنا صوت زوجك فقمنا بوضع كل مرآة فى مكانها بسرعة وعاد كل منا لمكانه..."

بعد أن قرأ هذا الايميل، نهض خوليو من مكانه متشبعا باستثارة جنسية ذات مرارة وتوجه كإنسان إلى غرفة الحمام، ووقف أمام مرآته فى محاولة منه فاشلة لممارسة العادة السرية، وبالرغم من انه حاول تخيل لاورا فى الجانب الاخر، الا أن من ظهر له باستمرار كان مانويل.فى النهاية، عاد منهكا ليجلس امام الكمبيوتر ويواصل القراءة. الان يشرح مانويل لزوجته أن الزنى كان يعاقب عليه فى بعض الثقافات بقتل الزناة.

"أتدرين لماذا؟، من ناحية، لأن الأفراد يحملون الدولة الدفاع عن هذا الذى يعجزون عن الدفاع عنه بأنفسهم، ومن ناحية أخرى، لوجود الاشتباه (اقول لك انه استقر كأساس) فى أن الزنى يفتح ابوابا من خلالها يمكن الوصول لاماكن مضطربة، تلك الاماكن التى منها ينظم تخريب البيوت العامرة. من اجل هذا، يا حبيبتى، عندما تلمحين لامكانية أن تهجرى خوليو لنستمتع بعلاقة مستقرة، اقول لك لا. فلو كنت أود أن أحررك من شىء، فهو أن احررك من أن تكونى زوجة. اما بالنسبة للشعور بالذنب الذى تظهرينه أحيانا، فستفقدينه لو فكرت أن

الخير لا يتمخض دائما عن خير، ولا الشر يتمخض دائما عن شر. أفضل نجاحاتنا (واستطيع أن أبرهن لك ذلك) تتبع من سلوكيات ملائمة للشر.

وبقدر ما كانت العلاقة تتطور، كان مانويل يخصص بعض الايميلات ليضع مسافة بينه وبين لاورا، أو هكذا بدا لخوليو. وهكذا، فى ايميل اخر، كان يشرح لها سبب عدم اعطائها نسخة من مفاتيح شقته. قال لها إن تسليم المفاتيح للآخر يعد شكلا من أشكال الخضوع وأشار إلى احدى لوحات بيلاثكيث بشكل لا يمكن تصديقه. واضاف:

"ستقولين ولماذا أمتلك انا مفاتيح شقتك(الاحرى أن اقول شقتكما)، انا امتلكها بصفتى جارا، حيث قررتما ذات مرة انه من الخير لكما أن تلعبا لعبة مع جاركما فى الشقة المجاورة.وعلى النقيض، لو اعطيتك مفاتيح شقتى، فسيكون ذلك بصفتك عشيقة وأول التزام للعشاق هو تفادى الفخاخ التى يصنعها العالم ليقلعا عن الوضع السرى فى العلاقة الخاصة بهما وان يكفا، بهذه الطريقة، أن يكونا واقعيين.فالواقعية، يا حبيبتى، خير نادر.انا وانت واقعيان عندما نكونان سويا، ضد الاعراف العامة. ولو تركنا سرية العلاقة لنصبح تقليديين، سنترك حينئذ واقعيتنا."

كان موضوع المفاتيح يبدو تبريرا اكثر منه تفسيرا، لكن مع مانويل لا تعرف شيئا. لم يكن خوليو قادرا أبدا على التمييز بين جد مانويل وهزله؛ لم يكن يعرف أيؤمن بآرائه أم يكفر بها. كان مانويل من جانبه يدرك هذا الارتباك الذى يضع فيه جاره، وكان يلعب دائما ليقوى هذا الارتباك. وكما لو كان قد تنبأ بأن خوليو سيدخل فى يوم ما على ايميله، فقد أدخل فى الايميل عناصر تثير الحيرة. قال: " لقد كنت تشتكين بالامس من أن علاقتنا تشبه المسلسلات التليفزيونية. انت محقة، يا لاورا، يا حبيبتى، لكن المسلسل التليفزيونى هو اهم ما يميز زمننا. فهناك كتاب كثيرون من الذين يعدون مثقفين يشيرون لهذا النوع بكل احترام ويعترفون بحقدهم الذين يصبونه على هؤلاء المؤلفين.. إن فترة

ما بعد الحداثة، تلك الفترة التى كتب علينا الحياة فيها، تتميز بالتحديد بعدم تقدير القصص العظيمة. فلا أحد الان، سوى الباحثين، يقرأ الروايات التى تعتبر تاريخيا روايات مهمة، ستشعرين انها اعمال عسيرة الهضم، إلا إذا اقتربت منها بهدف أثرى. أن ما كتب من اجل الجمهور الساذج، هذا القارىء الطبيعى للنوع القصصى، اصبح الان مرعى للحكماء والحاذقين.ان الشكل الوحيد للقصة الحية هو المسلسل التليفزيونى، ذلك لأنه يقربنا من النوع المنطوق، الذى ننشأ منه. ليست كل المسلسلات جيدة بالطبع، لكن قصتى وقصتك، تستطيعين أن تعتقدى ذلك، من القصص الرائعة. يفصل بيننا جدار وفناء داخلى، مثل مسجونين يشغلان زنزانتين متجاورتين، بهذا الشكل نبدع، لنلتقى، كود سرى أول شروطه الا يشبه كودا آخر. اسألينى أن كان هناك مغذى وراء كل ذلك، هل تستحق المعاناة تطور علاقة حب محكوم عليها بالسرية، ساقول لك أن العلاقات السرية هى العلاقات التى تستحق التعب من أجلها. انظرى حولك، لاحظى العلاقات بين الناس، القيود القبيحة (سواء كانت قيودا اقتصادية، اجتماعية، أو حتى دينية) التى تقع فى الحال فوق رءوس العاشقين ، وستدركين فى الحال اننا، فى وسط عالم بلا معنى، أبطال حقيقيون للمعنى.علينا أن نرى الاشياء بوضوح لنصم آذاننا عن غناء السارينا الذى يحاول اللامعقول أن يجذبنا به. فليس هناك منظر أكثر جاذبية من منظر اللامعقول، لهذا تعيش الناس بداخله..."

امام هذه الايميلات، احتار خوليو فى رأيه الخاص. هل يتلاءم نقد الذوق العام، المطبق على الديكور، مع هذا الدفاع عن المسلسل التليفزيونى؟ كان متأكدا انه نعم، لكن لأسباب لم يستطع الوصول لاستخراجها.ربما ما فسره هو على انه مناورات من مانويل ليضع مسافة بينه وبين عشيقته، كان فى النهاية عقيدة حقيقية. ربما كان مانويل يعشق لاورا بشكل غريب، بشكل لا يسعه فهمه، لانه لم يكن أبدا عاشقا للحقيقة. كان غريمه يشير لهذا الموضوع، بشكل مذهل، فى

إحدى رسالاته:

"الان، كما تقولين، تنتبهين إلى أن خوليو لم يحبك أبدا، لم يحب أحدا، ولن يحب أحدا، لأنه رجل قاصر جدا، كما تقولين بنفسك، عن الحب. هناك أناس بلداء المشاعر كما هناك أناس بلا موهبة فى الرسم.هل تطلبين من الاكتع لمسة، من الاخرس كلمة، من الاعمى نظرة؟ بالطبع لا. لا يمكنك ايضا أن تطلبى من خوليو أن يكون عاشقا ولهانا لان القدرة قد بترت منه."

عندما وصل لهذه النقطة، شعر خوليو بدخول الحمى القادمة من نخاعه، من حدود هويته الذاتية، هذه الحمى التى ظهرت بحرارة شديدة فى مفاصله وفى الاجزاء الرخوة من جسده. وبشكل غير معقول، ولانه استغل هذه الحمى كعذر لكيلا يذهب للعمل، فقد تلقاها بكل امتنان. كان لا يحتمل التناقض بين ما تقوله الكلمات وما يقوله الواقع. ربما يرتبط هذا الملمح فى شخصيته بميله لفهم ما قاله مانويل فى بعض رسالاته بالمعنى الحرفى. قال مانويل: " يتميز زوجك بفهمه لكل ما هو واضح، لهذا يفهم كل الاشياء بشكل حرفى. فلو تواعدت معه على اللقاء فى الساعة التاسعة، لن يفهم معنى أن أصل فى التاسعة وخمسة. بالامس تناقشنا مناقشة سخيفة حول الدقة فى المواعيد. اتهمنى اننى اصل دائما بعد الموعد بخمس دقائق. قال إنه قد ضايقه أن يحسب الدقائق، لانها دائما تكون خمس دقائق بالضبط، من اجل هذا لم يفهم، وانا اعلم ذلك، لماذا لا اخرج مبكرا خمس دقائق.اقترحت عليه أن يحاول أن يخرج هو متاخرا خمس دقائق، مؤكدا له انه سيشعر بسكينة كبيرة لو استطاع أن يحرر نفسه من هذه الصرامة التوقيتية. حينئذ، لجأ لموضوع قلة الاحترام.ان الاشخاص غير المضبوطين فى مواعيدهم لا يضعون فى اعتبارهم الاخرين، فهم لا يقدرون احتياجاتهم، الخ. الخطوة التالية لهذا النوع من الاعتبارات هو اتهامى بأننى ثرى. منذ فترة وصيته بقراءة رواية. وبعد أسبوعين أو ثلاثة سألته أن كان قد قرأها فقال لى انه لم يستطع أن يكملها لانه لم يجد بين شخصياتها من تفرض عليه الحياة أن

يكسب معيشته بنفسه. انه يقيس الناس بحجم اقساط البنك. منذ فترة قريبة اتهمنى باننى لا أعرف قواعد لعبة الحياة الواقعية لأننى لم اجد نفسى مضطرا إلى كسب معيشتى بصرامة. أجبته، بأفضل نبرة، بأنه لا يكسب معيشته: انه يشحذها، يستجديها، يتوسل ليهبوها له مثل الفقير الواقف على الناصية يطلب حسنة. وبالمناسبة، فنفس العلاقة البائسة التى تربطه بالمال هى العلاقة التى تربطه بالوقت. منذ فترة ليست ببعيدة، ولان المصروف الشهرى الذى يبعثه ابى قد تأخر، طلبت منه سلفة (وربما كان من الممكن أن اطلبها منك، لكننى لم اود أن اعكر علاقتنا بمسائل مادية)حسنا، وهنا لمح لى ثلاث أو اربع مرات أن اعيد له السلفة بنفس الاسلوب البائس الذى يحاول به أن اعيد له الزمن الذى فقده اثناء انتظاره لى."

فى هذه اللحظة، وربما بفضل الحمى، سأل خوليو نفسه عدة اسئلة: لماذا يتحدث كثيرا عنى؟ لماذا اتوقف انا بشكل خاص أمام الرسائل التى تحكى عنى؟ وعندما توجه للمطبخ ليشرب ماء شعر بالحدس أن كلا من مانويل وهو يربط بينهما بشكل خفى خيوط اشد بكثير من خيوط الحب أو الكراهية. شعر بمشاعر شفقة ناحية لاورا عندما أدرك انها لم تكن سوى الاداة التى تربط بين رجلين. كان هذا الشعور له واقع الالهام، لكنه كان الهاما يحدث تحت تأثير حالة الحمى، وبالتالى ممكن أن يكون هذيانا. عندما وصف خوليو حالته بأنها مجرد هذيان مؤقت، حتى لا يخيف نفسه اكثر من اللازم، قرر أن مانويل لم يكن يستحق أباه ولا ابنه الذى تحمله لاورا فى رحمها (ولا بالطبع يستحق لاورا نفسها). عندما ظهر له هذا الفعل: يستحق، كان الهاما اخر فى سلسلة الاكتشافات تلك. هل كان يستحق مانويل ما يملكه، وما كان لا يملكه؟ هل من الممكن تلخيص الحياة فى عبارات الاستحقاق؟ ماذا قد فعل مانويل ليكون مستحقا لهذه الحياة المرفهة، لهذه الموهبة التى يمتلكها، لهذه القدرة على سحر الاخرين؟ هل نجح فى اقتناص الاشياء التى يمتلكها أم أنه اقتصر على قبول ما جاءه كما لو كان ينتسب إلى طبيعة الاشياء؟

ممسكا بكوب الماء بإحدى يديه، شاعرا بالحمى كشبكة تمتد تحت جلده، أجرى مع مانويل حوارا خياليا لامه فيه على خيانته.

- يجب علينا فقط أن نكون مخلصين لافكارنا - أجابه مانويل المتخيل .. ولتكون مخلصا لافكارك يجب أن يكون عندك افكار اولا، وهذه ليست حالتك.

بدا لخوليو غريبا أن تخرج اجابات غريمه اكثر اقناعا، بالرغم من أن خوليو نفسه هو كاتب السيناريو. لم يخطر بباله اطلاقا أن الافكار تعلو الاشخاص، لكن ربما كان هذا صوابا، لان الافكار، وليس الاشخاص، هى التى تحرك العالم. فعلى عكس جاره، كان خوليو يتحرك فى نطاق الاشخاص، الاشياء المحددة، لانه لم يمتلك المقدرة على أن يسمو إلى عالم الصور. كان يرتب الاشياء، ينظف المطبخ أو غرفة الحمام، لانه كان يفتقد العالم الخيالى الذى يعيره اهتمامه.

عندما عاد للجلوس امام الكمبيوتر، بدا له انه قد مر مائة عام. بمعنى ما، كان هذا الشخص الذى جلس مختلفا تماما عن هذا الذى نهض منذ قليل. اثناء ذلك، جاءه ايميل جديد. كان من لاورا، وكان يقول:

" حبيبى، اكتب اليك من النت كافيه الذى اعتدت أن اكتب اليك منه، لكن من كمبيوتر مختلف، فقد وجدت الكمبيوتر المعتاد مشغولا، وهو الامر الذى بدا لى انتهاكا لشىء مقدس. لكن ليس لدى وقت لانتظر حتى يخلو، حيث تحججت بذهابى للطبيب وخرجت لفترة قليلة من العمل. عليك أن تعرف أن حالة الحمل مستقرة جدا، بشكل رائع. ابنك ينمو بشكل صحى. اقول ابنك، بالرغم من اننى اشعر أن من ينمو بداخلى هو انت. لقد ذهبت بالامس لرؤيتك. تركونى وحدى بجانبك برهة من الزمن فأخذت يدك ووضعتها على بطنى حتى تسمع دقات قلبك بداخلها، حتى تشعر بنفسك. مكثت وقتا اقل مما كنت اتمنى حيث اننى لا احتمل رائحة المستشفيات، لكن ايضا مخافة أن ترتاب الممرضات فى علاقتنا ويبلغن خوليو، الذى يزورك من حين لآخر. اريد أن اقول لك أن علاقتنا مازالت سرية، واننى احترم هذه الرغبة التى لم اوافقك

عليها ابدا. فانا اعرف آراءك حول الارتباط وكل هذه الاشياء، لكن ما أريد أن أقوله لك اليوم، يا حبيبى، يا حب حياتى، يا حبى، شئ لا يصدق يجعلنى ارتاب فى نفسى، فى حواسى، فى كل شىء. فأنا أحيانا، عندما أخرج من الشقة، اشم عطرك عند بسطة السلم. فى البداية كنت اعتقد أن الجو قد تشبع بعطرك، لكن لقد فات وقت طويل منذ غيابك ومازلت اشم نفس العطر، كما لو كنت انت قد مررت من المكان توا. ليس هذا فقط: فذات ليلة، وسط صمت ساعة الفجرية، عندما كنت متيقظة، شعرت اننى اسمع فى غرفة نومك صوت احد يتقلب فوق السرير، احد يحلم بصوت مرتفع. قل لى هل هذه الاشياء هلاوس، يا حبيبى، أم إنك استطعت أن تهرب من جسدك المغمى عليه وعدت كطيف إلى بيتك، تبحث عن اشيائك، التى بينها اجد نفسى.احيانا، اقف ساعات امام النافذة التى تطل على الممر واراقب نافذة غرفة دراستك. وبالرغم من أن النافذة لها نفس الشكل الذى تركتها عليه، وبالرغم من أن كل شئ يبدو فى الظاهر على حالته، إلا اننى اشعر، يا حبى، أن البيت مسكون بك، بطيفك. قل لى هل هذا هذيان، قل لى هذا، قله لى، قله لى، قله لى. احبك. حبيبتك لاورا. "

■■■

أغلق خوليو الكمبيوتر وكذلك الهاتف المحمول، كما لو كان يقطع صلته بالعالم.ذهب بعد ذلك لغرفة النوم وترك نفسه يسقط فوق السرير حيث استمر ثلاثة أيام متتابعة، بلياليها. خلال هذا الوقت، وبينما كان جسده يرقد بين الملاءات مثل بدلة مهجورة، كانت ذاكرته تسافر من مكان لآخر فى الحياة، فى بعض الاحيان كان ينظر لها بلا نية مقصودة، كمن يتأمل منظرا طبيعيا وهو راكب قطار ؛ وفى أحيان اخرى، كان يقرأها بمثابرة من يفسر القدر. كان يبدو القدر مكتوبا فى الاحداث المبتذلة، فى التفاصيل الخارجية، فى هوامش الوقائع. كان يتجول فى وجوده بنفس الحذر الشارد الذى تجولت به صرافة الفيلم فى بيت العجوز المحتضرة، مطلة برأسها على غرفة وأخرى بحثا عن شىء ذى قيمة.

فى لحظة ما من هذه الايام الثلاثة رأى نفسه، فى زمن آخر، واقفا، حائرا، أمام دولاب مفتوح: دولاب أمه. كان معلقا به من الداخل اربع أو خمس شماعات خالية، وبدلة كانت السيدة قد تركتها عندما هربت من البيت. ملس خوليو على البدلة بنفس الحذر والفضول الذى يلمس به جثة ميت. هذا الثوب الخالى من روح ذكره بجسد مانويل وبجسده هو نفسه، تلك الاجساد التى هجرها أصحابها وتركوها كأثواب فارغة، فى أسرة مختلفة، ضحايا لنفس المصير.

خلال فترة دراسته، كان خوليو يعمل فى مغسلة ما بالحى الذى يسكنه. كانت خبرته القليلة يقابلها راتب قليل، وحالات استغراب كبيرة. كانت هذه البدل التى يستأمنه عليها العملاء، والتى يعلق فى طياتها بطاقة بدبوس، محاولا ألا يخدشها، تسبب له اضطرابا لا يحتمل. كيف لم ينتبه اصحاب هذه البدل المتروكة، بلا تأنيب ضمير، فوق الترابيزة، انها تحتوى على جزء من هويتهم؟. وسريعا ما تعلم أن يفرق الاجزاء المختلفة من البدلة كالطبيب الشرعى، بعد أن يفتح الجسد، يصنف الاجزاء التشريحية. كان عليه أن يخلع الكتافات من بعض البدل، يفك الخياطة من الداخل أو يخلع الأزرار قبل أن يقوم بعملية طمث هويتها بغسلها. لكن حتى بعد تنظيفها، لو تأملت فى دواخلها، ستجد بقايا من مشاعر وشخصية صاحبها.

كانت من عادة خوليو، بالاضافة لعادات أخرى، أن يفتش جيوب الثياب لاخراج أى شىء قد يضر النسيج أثناء عملية التنظيف. كانت الناس عادة ما تنسى تذاكر مترو أو اوتوبيس، مناديل ورقية، اموالا، خطابات أو ورقا به ملحوظات، وكان يضع هذه الاشياء فوق الترابيزة مثل الطبيب الشرعى يضع الاجزاء الصغيرة على حافة ترابيزة من الصلب. كانوا يأمرونه بإلقاء الاشياء التافهة فى القمامة، لكنه كان يحتفظ بها فى صندوق، فى انتظار أن يتبخر منها هذا الجزء الصغير من الروح الذى تصل معه إلى المحل. والحق أن هوية صاحب الاشياء كانت تستمر فيها عدة أسابيع أو أشهر، وبالتالى كان يتخلص منها بشعور ما بالذنب، كما لو كان دفنها اكثر احسانا من القائها فى صندوق القمامة.

لقد وجد ذاته مع قطع الملابس هذه - الآن يدرك ذلك - لانه هو نفسه كان يحمل بداخله شيئا من البدلة الفارغة. ليس الامر انه يفتقد لروح، وانما، من المحتمل، أن تكون روحه صغيرة، دنيئة، ضئيلة. ربما عندما وصفه مانويل فى مراسلاته مع لاورا بأنه معتم، كان يريد أن يشير إلى جسد بلا روح. أن عتمته - الان يدرك ذلك - كانت تشبه عتمة الملابس

التى كانت تأتى للمغسلة. فى ذات يوم فاجأ صاحب المحل يحتضن بدلة لعميلة، ينتهكها، بدون أن تستطيع البدلة أن تدافع عن نفسها. كيف يفعل ذلك مع ثوب تافه بروح تائهة بين ثناياه؟. لم ينتبه المنتهك لوجود العامل، وبالتالى وقف خوليو عاجزا من الخوف، يشاهده وهو يجامع البدلة. كما لو كان يجامع ظلا.

كان للمغسلة غرفة كمخزن صغير، كانوا يحتفظون فيه بالبدل خلال الفترة التى حددها القانون، تلك البدل التى بعد الانتهاء من تنظيفها لا يأتى أصحابها ليأخذوها لسبب أو لآخر. ربما وافت أصحابها المنية، أو غيروا مدينتهم، أو أصابتهم ضربة حظ جعلتهم يجددون دولاب ملابسهم ناسين بذلك القطع القديمة كالزواحف، عندما تغير جلدها، تترك الجلد القديم فى أى مكان. كان خوليو يدخل من حين لآخر هذه الغرفة وينظر لهذه الظلال المهجورة، بلا صاحب، المنعكسة على السقف، الشبيهة بالمحكوم عليهم بالإعدام. ذات مرة، شجعه رئيسه على أخذ بدلة وبنطلون ومعطف ، لكنه رفض ببراهين واهية، لا تصدق، إذ كيف يعترف له بما يشعره فى الواقع.

فى يوم، عقد مع مانويل حوارا حول الروح والجسد. رأى مانويل أن الفرق بينهما خيالى، غير واقعى. فسأله خوليو حينئذ لماذا يشعر هو بهما كشيئين مختلفين، فأجابه جاره أن تاريخ البشرية من الممكن أن يتلخص فى الكفاح ضد الإحساس، فالإحساس هو المبدع الذى لا يكل للسراب.

- أن الحواس - أضاف - تقول إن الشمس تغرب، والشمس لا تغرب ولا تختفى. إن الحواس تقول إن الاشياء عندما تبعد تتضاءل، لكن الحقيقة أن للأشياء نفس الحجم سواء رأيناها من قرب أو من بعد مائة متر. أن الحواس تجعلنا نتوهم أن الاجساد مكتنزة، بينما الـ ٨٠٪ من الذرة فراغ صاف. إن الواقع كالثقب.هل سمعت احدا يتحدث عن المادة السوداء؟

بالطبع كان محقا، فلا هدف لمانويل فى الحياة غير أن يكون محقا، لكن، كان خوليو يشعر، على عكس كل البراهين العلمية، أن جسده (مثل

جسد جاره الان فى المستشفى) نوع من الظل، جزء من البدلة المهجورة فوق السرير. كان عليه أن يقرر أيأخذه ام ينساه للأبد هناك، فى الجانب الاخر من المرآة. لم يكن قرارا سهلا، فإمكانية أن يأخذ مانويل جسده كانت تقتله لدرجة انه فئ اليوم الثالث استوى فى مجلسه أخيرا وخرج من بين الملاءات كمن يخرج من مثواه الاخير. كان قد فقد خلال هذه الايام بعض الكيلوات، لكنه ايضا استعاد نفسه من الحمى. إن من أصابته الحمى الآن هو الواقع. هذا هو ما شعر به عندما دخل غرفة الحمام ولمس الحوض، البانيو، الماء، الصابون، علب كريمات الشعر لتفادى تساقطه... كل الاشياء كانت محمومة، كانت مريضة، لان كل شىء ـ وهى أشياء متواضعة مثل ماكينة الحلاقة ـ كانت حية.

بعد أن ارتدى ملابسه، ذهب للمطبخ، اخذ بعض بقايا الطعام المتبعثرة فى كل مكان. بعدها شغل الهاتف المحمول ورأى الرسائل الواردة فى غيابه. لم تكن كثيرة .. رسالتان أو ثلاث من العمل وعدة رسائل أخرى من أماندا، تطلب منه فيها أن يبقى بعض الوقت مع الطفلة. نظر فى الساعة وكان وقت الظهر. هاتف الشقة المجاورة، شقته، ليرى إن كانت لاورا هناك. لم يرد احد، فخمن حينئذ أن ورديتها صباحية. بعدها بحث عن مفاتيح هذه الشقة التى يمتلك مانويل نسخة منها، وجدها سريعا فى احد ادراج المطبخ. خرج حينئذ فى الخفاء لبسطة السلم ودخل خلسة إلى شقته. توجه مباشرة للغرفة الداخلية، التى كانت غرفة عمله، وجدها قد تحولت إلى غرفة اطفال. لقد استغنت لاورا فى البيت عن كل ما يذكرها بالماضى ووضعت مهدا كان يبدو مركز الكوكبة الذى تدور حوله كل الاشياء الاخرى. كان المهد، بالطبع، محموما. عاد فى خطواته ودخل الممر وغرفة النوم الرئيسية، حيث لم يزل السرير غير مرتب. تحرك مثل الظل فى الغرفة، رتب الملاءات بشكل طفيف ولم قليلا ملابس زوجته. بعدها عاد للشقة المجاورة وهاتف اماندا.

ـ لقد كنت بالخارج ـ قال ـ لكننى مشتاق للطفلة.

ـ وهى ستجن لتراك. لا تفعل شيئا سوى السؤال عنك. واتصلت بك

عدة مرات، لكن كان تليفونك مغلقا.

- هل سأجدكما هذه الليلة فى البيت؟

- يبدو لى افضل لو تأخذها من المدرسة، حيث لدى أشياء كثيرة يجب أن انهيها مبكرا. لو بدا لك الامر حسنا، سأنبه المدرسة أنك ستذهب لتأخذها. خذها من المدرسة للبيت، الواقع على بعد خطوتين من المدرسة، إعطها غذاءها وعندما أصل نتناول كأسا سويا.

- ومن سيفتح لى الباب؟

- الطفلة معها سلسلة مفاتيح فى محفظتها.

■■■

كتب عنوان مدرسة خوليا وخرج للشارع وفى ذهنه تدور فكرة أن يضيع الوقت حتى الساعة الخامسة. مر من امام الموتوسيكل، الذى لم يبق منه سوى غطاء الاطار الامامى وتنك البنزين، والذى كان فرشه جيد الجودة. بعدها ذهب لاحد المطاعم وتناول طبق شوربة واكل قطعة سمك مسلوق، لينقه نفسه، قبل أن يذهب بحثا عن هدية للصغيرة. فجأة انتابه الخوف من أن يخيب أمل الطفلة، كما لو كانت هذه الطفلة، التى رآها بالكاد ثلاث أو اربع مرات، هى الشىء الوحيد الذى يتبقى له فى الحياة.

بعد أن تجول عدة جولات، اشترى ساعة من الخشب، كانت أرقامها وعقاربها ذات الوان مختلفة، ليعلمها هو بنفسه قراءة الساعة، وكتابا يحكى حدوتة عن ايام الاسبوع، قليل الكتابة كثير الالوان، تحكى الحدوتة قصة طفل ذات مرة، بينما كل العالم كان ينتقل من الاحد إلى الاثنين فى ساعة معروفة، استطاع هو أن يختبىء فى ركن ما من يوم الاحد حتى لا يذهب إلى المدرسة. وعندما انتبه ابواه انهما قد وصلا إلى يوم الاثنين بدونه، حاولا العودة ليوم الاحد ليأخذاه، لكن ذلك كان مستحيلا، وبالتالى قضى الصغير سته ايام كاملة بمفرده، حتى دارت عائلته مع حركة الاسبوع وجاء يوم الاحد من جديد .كانت الحدوتة تدور حول مغامرة الطفل المقيد داخل يوم فارغ، بلا جيران، بلا مشاة، بلا رجال شرطة، بل وبلا حيوانات منزلية، حيث إن الحيوانات تدور ايضا مع ايام

الاسبوع مثل البنى ادمين.وعندما عثروا عليه، كان الصغير على وشك الموت، لكن بعد أن استعاد صحته، وندم على ما قد فعل، وضع هذه القدرة على السفر خلال الزمن فى خدمة الخير، مستخدما إياها لانقاذ الاطفال التائهين فى أيام الاسبوع الخاطئة.

قرأ الحدوتة واقفا، بجانب المنضدة. وبعد أن اغلق الكتاب، تخيل مدينة لها شبكة مترو تحمل محطاتها اسماء ايام الاسبوع. يركب الناس المترو من المحطة التى تحمل اسم يوم الاحد، على سبيل المثال، ويهبطون فى اليوم الذى يروق لهم.تخيل نفسه داخل واحدة من هذه العربات. أخذ المترو يوم الاثنين بنية الهبوط يوم الخميس وعندما عبر محطة يوم الثلاثاء، رأى أمه، جالسة فى أحد مقاعد الرصيف، كما لو كانت فى انتظار أحد. من هذا الذى تنتظره امى يوم الثلاثاء؟، سأل نفسه كما لو كان قد وجد نفسه داخل حلم. لكنه لم يكن داخل حلم، وانما داخل تخيل قدير، حيث اكتشف فجأة بائعا بجانبه يسأله للمرة الثالثة أو الرابعة أن كان يستطيع مساعدته فى شىء.

- معذرة !

- أأستطيع مساعدتك فى شىء؟

- كنت أود أن أسأل أن كانت هذه الحدوتة تصلح لطفلة فى السادسة أو السابعة.

أجابه البائع بالايجاب، فالحدوتة معدة للاطفال من السادسة إلى الثامنة، وقد لاقت نجاحا كثيرا. فطلب منه خوليو أن يلفها له لانها هدية. وعندما ترك قسم كتب الاطفال انتبه إلى انه لم يكن متأكدا فى أى يوم من الاسبوع يكون. فطبقا لحساباته، قد استمر فوق السرير اثنتين وسبعين ساعة، بسبب هذه الغفلة التى سببتها له الحمى، لكنه الان لا يتذكر فى أى يوم من الاسبوع قد نام. ربما كان يعيش فى يوم مختلف عن أيام بقية الاشخاص الذين يتقابل معهم. ومن قسم كتب الاطفال، انتقل لقسم ملابس الاطفال، واشترى ايضا لخوليا ثوبا

نصحته به البائعة.

وصل باب المدرسة مبكرا ربع ساعة. كان هناك مجموعة من البالغين الواقفين فى انتظار اطفالهم يتحدثون مع بعضهم حول الاطفال بشكل عام. كان هو الرجل الوحيد الواقف بمفرده. قبل الساعة الخامسة بقليل فتحت الدادة الباب الحديد حتى يدخل الآباء للحديقة. وكلما اقترب وقت الخروج، شعر خوليو بحمل المسئولية التى وهبته شعورا بالمتعة والاضطراب فى الوقت نفسه.. تخيل نفسه وهو يأخذ ابنه الحقيقى كل يوم من المدرسة، مصطحبه من يده إلى البيت، معدا له الغداء، معلما إياه قراءة الساعة... بعد قليل، ضايقته فكرة الا يكون له ولد يصحبه للبيت ويربيه.

ميز خوليا سريعا، جاءت فى الدفعة الثانية من الأطفال الذين خرجوا من المبنى. هى ايضا تعرفت عليه بنفس السرعة. هرولت ناحيته، عانقته من رقبته. لم يعرف خوليو ماذا يفعل، فلم يكن يتوقع هذه المشاعر الجارفة. اثناء ذلك، اقتربت منه مدرسة.

- لقد أعلمتنا أماندا أن حضرتك ستأتى لتأخذ الطفلة.

- نعم - قال هو.

- إنه أبى - صاحت الطفلة.

رسم خوليو ضحكة عريضة على وجهه. فجأة، وجد نفسه مضطرا أن يسألها كيف قضت اليوم.

- كانت شاردة جدا .فهى كثيرة الشرود.

- حقا يا خوليا؟ أأنت كثيرة الشرود؟

- لا، لا أشرد كثيرا، لكننى أفكر فى خصوصياتى - أجابته الطفلة.

بعد أن ودع المدرسة بابتسامة، أخذ خوليو الطفلة من يدها وخرجا من المدرسة.

- أتعرفين العودة إلى البيت؟ - سألها خوليو.

- نعم بالطبع. واستطيع الذهاب والاياب بمفردى، لكنهم لا يتركوننى.

كان يحتضن يد الطفلة، الصغيرة جدا، بيده بعناية من يحتضن عصفورا. كان يلعب مع أصابعها أحيانا ؛ يفصل بينها بأصابعه برقة من يرتب مجموعة أقلام ريشة.كانت الطفلة تتركه يفعل ما يروق له، وكان هو يتركها تدله على الطريق.كانت شوارع هذا الحى حديث التأسيس عريضة جدا وكانت السيارات تسير بسرعة اكثر من المصرح به. كانت الطفلة، التى تعرف هذه التفاصيل، لا تعبر الا من حيث توجد خطوط المشاة. وعندما تكون الاشارات مغلقة، كانت تعد حتى تفتح. كانت تحسب فترة كل اشارات الطرق، بالرغم من انها كانت تخلط بين الثوانى والدقائق. حاول خوليو أن يشرح لها الفرق، لكنها لم تعره انتباها.

- تعجبنى كلمة دقيقة - بررت موقفها.

- الدقائق تتكون من الثوانى - ألح خوليو.

- وأحب الساعات المصنوعة من الصلصال - أضافت الصغيرة.

- ولماذا من الصلصال على وجه الخصوص؟

- لان امى تقول أن وقتها يتمدد مثل الصلصال.

- هذا عندما تملين منها.

- لماذا فقدت بعض وزنك عن المرة الفائتة؟

- لاننى فقدت بعض الكيلوات.

- اذن فنحن نتكون من كيلوات.

كان الموقف بالنسبة لخوليو جديدا، غريبا، يعتقد أن كل الناس تنظر له.

كان من داخله يشعر انه يغتصب دورا لا يناسبه، كما لو كان قد اختطف الطفلة.عبر بذهنه عدة مرات خاطر خطف الطفلة. عبرت ايضا برأسه فكرة أن أماندا قد تعرضت لحادث منعها أن تعود لتقوم بمسئوليتها تجاه الطفلة فيقوم هو بتبنيها.

- لماذا قلت فى المدرسة اننى أبوك؟

ابتسمت خوليا دون أن ترد.

- لماذا؟ - الح خوليو فى السؤال.

- ماذا تضع فى هذا الكيس؟ - صدت هى هجومه.

- هدايا - قال هو.

- من أجل من هذه الهدايا؟

- من اجلك أنت.

- كم هدية تكون؟

- ثلاث.

أرادت الطفلة فتح الهدايا فى وسط الشارع، لكن خوليو قال لها بعد الغداء يمكن فتحها، وتصنع الصلابة بحيث لم تلح الطفلة.

وعندما وصلا للبيت، وبينما كان خوليو يسخن لها الغداء فى الميكروويف، فتحت الصغيرة الهدايا .عن الثوب قالت انها لا ترتدى الجيبات وعن الساعة قالت انها تناسب الاطفال الصغار. اما كتاب الحدوتة فقد نظرت للرسومات، ولم تنو قراءته.

- ولماذا لا ترتدين جيبات ابدا؟ - سألها خوليو.

- ولماذا لا ترتديها انت؟ أن الرجال لا يرتدون الجيبات، بينما النساء يرتدين البنطلونات. هذا ليس عدلا.

- ولماذا تبدو لك الساعة للاطفال الصغار؟

- بسبب الألوان.

- هل تعرفين قراءة الساعة؟

- اقرأ فقط الحروف الصغيرة.

- ليس بالساعة حروف صغيرة.

- هذا لأنك تقول هذا.

- أتريدين أن أعلمك قراءتها؟

- اقرأ لى أولا الحدوتة.

قرأ خوليو الحدوتة بينما كانت الطفلة تأكل بتعبيرات وجه تعكس الحكاية.

- أتبدو لك فكرة جميلة أن نستطيع أن نعيش فى أيام اسبوع مختلفة؟
- سألها بمجرد أن انتهى.

- لا اعرف.

- كيف لا تعرفين؟ هل اعجبتك الحدوتة أم لم تعجبك؟ هذا شىء من السهل معرفته.

- هل انا اعجبك؟

تردد خوليو.

- بأى معنى؟ - قال فى النهاية.

- كابنة لك.

- لكنك لست ابنتى.

- اقول لك افتراضا، لو كنت انا ابنتك.

- لا اعرف.

- اذن فانا لا أعجبك.

- انا لم اقل ذلك.

- انا ايضا لم اقل أن الحدوتة لم تعجبنى. قلت لك لا أعرف أن كانت تعجبنى ام لا.

ادرك خوليو انه قد وقع فى فخ وحاول تغيير الموضوع بينما كان يلم أطباق الغداء ويأخذها للحوض. لكن الطفلة أعادت الكرة.

- لو قلت لى هل أعجبك ام لا كابنة سأقول لك هل تعجبنى الحدوتة ام لا.

- هيا، ابدئى انت - قال خوليو.

- ولماذا انا؟

- ولماذا انا؟

- اذن فلنلعب ملك وكتابة وبعد ذلك تهدينى العملة - قررت الطفلة.

اخرج خوليو العملة والقاها فى الهواء وقال ملك وخرجت ملك.

- ابدئى انت - قال وسلم العملة للطفلة.

- كنت اعرف اننى سأخسر - قالت خوليا ..فأنا دائما أخسر.

حاول خوليو أن يواسيها عندما شعر بالحدس أن هذا ماهو الا فخ آخر، وبالتالى بدأ غسل الاطباق دون أن ينبس بكلمة.

- دائما أخسر - الحت الطفلة - هل انت تفوز دائما؟

- هذا يتوقف على ما نسميه فوزا - أجاب هو.

- انا اطلق اسم الفوز على الفوز.

- انا أطلق اسم الفوز على البقاء على العملة.

اطلقت الطفلة قهقهة، كما لو كانت تتصنع كل هذا طوال الوقت. ظل خوليو يغسل الاطباق وعلى ثقة فى أن الطفلة ستعود لتتطرق لموضوع هل يحبها كابنة له أم لا، لكنه الآن هو من فى حاجة إلى أن يقول لها نعم.. لكن الطفلة فقدت اهتمامها بالموضوع برمته.

عندما انتهى من غسيل الاطباق عادا إلى الصالون وجلسا على الكنبة. أشعلت هى التلفاز وبحثت عن برامج اطفال بالريموت كنترول. أصيب خوليو بخيبة أمل لأنها فضلت مشاهدة التلفاز على الحديث معه، لكنه لم يعلق.عندما مر بعض الوقت وهما امام التلفاز، ولان خوليا كانت مسحورة بالبرنامج، نهض خوليو واقترب من رف المدخنة، حيث وجد علبة من النحاس الاصفر بها سجائر حشيش ملفوفة.اخذ سيجارة وذهب بها إلى المطبخ حيث اشعلها بحذر وبدأ فى سحب الانفاس بشكل مخيف. لاحظ فى الحال صعود تأثير المخدر من الرئتين إلى الصدغين.

كان جالسا على الترابيزة، ينظر لساعة الحائط التى بها عقرب ثوان. كان يغمض عينيه، يعد من واحد إلى خمسة عشر بعدها يفتحهما ليتحقق هل مرت ربع دقيقة. كانت ثوانيه اطول من ثوانى الساعة. وعندما استطاع أن يوفق بينهما، كف عن اللعب. بعد النفس الخامس أطفأ السيجارة وندم على انه قد أشعلها. الان عليه أن ينتظر فترة غير محددة حتى تختفى هذه التأثيرات غير المحببة، هذا الاضطراب الذى يسببه له الحشيش.وليحارب هذا الشعور، بحث تحت الحوض عن منظف وقماشة من الصوف وشرع فى تنظيف القيشانى بتركيز مبالغ فيه. كان البلاط القيشانى ايضا مصابا بالحمى.

بعد قليل، ظهرت خوليا على باب المطبخ. تبادلا النظرات بلا تعليق. بعدها رأت الطفلة عقب السيجارة وقالت:

- لقد أصبحت مثل أمى.

- وكيف تكون آمك؟

- تدخن هذا. وعندما تدخن هذا، تصبح فى حالة غريبة.

- لكننى لست فى حالة غريبة، أنا أنظف القيشانى، انظرى إلى منظره، انه فى غاية القذارة.

- لكنك فى حالة غريبة. تنظفه بشكل غريب.

بذل خوليو جهدا حتى يسمو فوق اتهام الطفلة.

- لا أعرف ما معنى كلمة حالة غريبة.عندما تكون الاشياء قذرة، ننظفها وننتهى

- وتحدثنى بشكل سيئ، كما لو كنت فى احد ايام الاسبوع وأنت فى يوم آخر.

ترك خوليو القماشة الصوف فوق ماسورة، وقرر أن يواجه الطفلة، كنوع من مواجهة الضيق الذى ينتابه، لكنه قارن حجم جسدها بجسده وادرك حينئذ أن للطفلة روحا أكبر من جسدها بينما هو له جسد أكبر

من روحه. وان هذه الروح الصغيرة التى يمتلكها كانت تائهة فى مكان ما من كينونته، مثل زرار فى ثنية بدلة. أن انفصاله عن الحياة، غموضه، الواضح الان بسبب تأثيرات الحشيش، يزداد وضوحا مع مرور الوقت. انه يستطيع أن يقود العالم، لكن كما لو كان بينه وبين العالم جدار من زجاج

- هيا نشاهد التلفاز - قال تاركا التنظيف.

- لا أريد أن اشاهد التلفاز الآن.

- وماذا تريد أن تفعلى؟

- اريد أن تحكى لى حدوتة عن الظلال.

جلسا على مائدة المطبخ وبدأ خوليو يحكى الحدوتة التالية:

- كان ياما كان كان فى مغسلة للظلال.

- ما معنى مغسلة للظلال؟

- مكان يذهب إليه الناس بظلالهم لينظفوها، مثلما ينظفون بدلهم. ولا تقاطعينى كل ثانية.

- اكمل.

- لكن كان هناك أناس بعد أن يتركوا ظلهم لينظف كانوا لا يعودون لياخذوه.

- لماذا؟

- لانهم كانوا ينسونه، أو لأنهم كانوا يموتون، أو لأنهم كانوا لا يمتلكون مالا ليدفعوا ثمن التنظيف. وما يحدث هو انه فى كل الشهور كان يتبقى كم من الظلال التى لا تسترد.

- وماذا كانوا يفعلون بها؟

- كانوا يحتفظون بها فى مخزن يبث الخوف فيمن يطل عليه لان هذه الظلال المهجورة كانت تهتز من الالم.لم تكن تحتمل البقاء بلا جسد تسير وراءه، مثل صرير الباب، لان الظلال لها حياة قليلة. فلو تركت أنت

ظلك فوق سرير، لا يستطيع أن يتحرك من نفسه، فهو لا قوة له. كما انه ليس له قوة ليبكى، بالرغم من انه يستطيع أن يتحرك قليلا. كان هناك طفل، يعمل بهذه المغسلة، كان يهبط احيانا لمخزن الظلال المهجورة ليسمع أنينها، وهو الأمر الذى كان يسبب له فى ذات الوقت الخوف والأسف، الضيق والمتعة.هذا الطفل الذى اتحدث عنه، عشق ظل فتاة. كان ظلا غاية فى الجمال، كان يرتدى جيبة واسعة جدا وله شعر طويل مسترسل كشعرك، يهفهف عندما تتحرك صانعا رسومات مثل الرسومات الحبر على الحائط.أحيانا، كان الطفل يعانق هذا الظل، يرقص معه، أو يقبله. لكن الظل لم يكن سعيدا بنفس عدم السعادة التى تشعر بها يد منفصلة عن بقية الجسد. حينئذ، بحث الولد عن بطاقة الشخص الذى أتى بالظل للمغسلة وتحقق أين تقيم الطفلة وذات يوم، عند خروجه من العمل، ذهب إلى هذا العنوان وطرق الباب.فتحت له سيدة بملابس الحداد." انا من المغسلة "، قال، " قال لى رئيسى فى العمل أن حضراتكم لم تأخذوا الظل الذى تم تنظيفه. انه ظل فتاة، لها شعر مسترسل، وترتدى جيبة واسعة ". تركت السيدة نهنهة بكائها تخرج وقالت إنه ظل ابنتها، التى ماتت من الدفتيريا، لهذا لم يمروا على المغسلة ليأخذوا الظل. " افعلوا به ما يحلو لكم "، قالت المرأة قبل أن تغلق الباب.

عاد الولد إلى المحل، الذى كان مغلقا، ودخله من النافذة. بعدها أضاء شمعة وهبط للمخزن.وبما أن الوقت كان ليلا وكان الصمت يسود المكان، قبل أن يفتح الباب سمع آهات الالم الصادرة من الظلال. كانت التنهيدات صغيرة جدا، لكنها فى غاية العمق ؛ كانت القلوب تقشعر لهذه التأوهات الصغيرة.كان على وشك الرجوع من حيث أتى، لكنه فى النهاية لم اطراف شجاعته، ودفع الباب ودخل بين الظلال الباردة، التى كانت تلمسه برقة، مثل اياد من الجيلاتين الاسود، حتى وصل إلى حيث يوجد ظل الطفلة. أخذه بين ذراعيه والظل ترك نفسه كجسد مغشى عليه. بعدها خرج للشارع وهرب فى وسط الظلام خفية، وفى ذهنه تدور فكرة

الذهاب للمقابر، بحثا عن قبر الطفلة ليترك ظلها يتملص من فجوة اللحد ليستريح بجانب الجسد.كانت اعمدة الاضاءة بالشوارع الصحراوية تعكس ظل الولد على حوائط المبانى. حينئذ حدث شىء مدهش حيث إن ظل الفتاة خرج من ذراعى الولد وبحث عن ذراعى ظله.اما الولد، المأخوذ بهذه المبادرة، فقد توقف وشاهد، منذهلا، كيف أن ظله وظل الفتاة كانا يتبادلان القبلات بكل عاطفة فوق حائط احد المبانى وكيف، وهما يمتزجان فى ذراع واحد، يتحولان إلى ظل واحد...

كان خوليو يرفع نبرة صوته بحيث كانت الطفلة تزداد انتباها.وكان مندهشا من قدرته على سحرها، تلك القدرة التى نسبها لفعل الحشيش، لكن عندما وصل لهذه النقطة ضاع منه الخيط. كان لا يعرف كيف يواصل، بحيث يصل للنهاية، وبالتالى صمت وظل ينظر لخوليا، فى انتظار رد فعلها.

- ما هى الدفتيريا؟ - سألته هى فى النهاية.

- الدفتيريا؟ لا اعرف، انه احد أمراض الحواديت - أجابها خوليو ببرود ما.

- وما معنى منذهل؟

- مندهش، مذهول، متعجب...

- حسنا.

- هل اعجبتك الحدوتة؟

- هل اعجبك كابنة؟

عندما ادرك انه من الممكن أن يسقط فى موقف دائرى ربما يقوى الضيق الناتج عن تاثيرات سيجارة الحشيش، التزم الصمت.ولحسن الحظ، سمع فى هذه اللحظة صوت باب الشقة وظهرت أماندا.كانت ترتدى معطفا اسود، من الجلد، تفادت أن تخلعه امام خوليو والطفلة، كما لو كانت لا ترغب أن تظهر ما ترتديه تحته.اعطت كلا منهما قبلة سريعة وصعدت، كما قالت، لتغير ملابسها.سمع خوليو صوت خطوات

المرأة فى الشقة العليا، وبعد قليل سمع صوت الدش.وبما أن اثاث البيت كان فقيرا جدا، كان الماء، عندما يلامس الارض، يسمع صوته داخل المطبخ كما لو كانت هناك ماسورة مكسورة.كانت الطفلة تلتزم صمتا كريها لا يعرف خوليو كيف يكسره. فى الآخر، تركها فى المطبخ، وذهب للصالون، أخذ مجلة وجلس على الكنبة متظاهرا بالاهتمام بالقراءة. وعلى عكس ما ظن، لم تأت خوليا وراءه.

هبطت أماندا ملتفة بالبرنس الذى ارتدته المرة الفائتة وبنفس الفوطة التى لفتها حول رأسها فى شكل عمامة. جلست بجانب خوليو وسألته عن كيف أكلت الطفلة وهل شاهدت التلفاز وقتا طويلا. لاحظت ايضا أنه أصبح أكثر نحافة.

- لقد كنت متضايقا بعض الشىء - قال هو.

ظهرت الطفلة حينئذ وبينت هدايا خوليو لأمها متظاهرة الآن أنها قد أعجبتها.

- لا تقولى لى أنك سترتدين ثوب طفلة، الجيبة وهذه الأشياء - قالت الام بعد أن أخرجت الثوب من العلبة ورفعته بتوجس بكلتا يديها لترى طرازه.

- ربما نعم - أجابتها ابنتها مصوبة نظرة معقدة لخوليو، الذى شعر، بالرغم من كل شىء، أن هناك شيئا ما بينه وبين الطفلة قد انكسر.

- هيا، اصعدى إلى غرفتك، عليك أن تستحمى فى الحال - أضافت أماندا بدون أن تعير انتباها لبقية الهدايا، كما لو كانت لا تقدرها.

صعدت الطفلة، بحاجبين معقدين، إلى السلم. نهضت أماندا وأخذت سيجارة حشيش من العلبة النحاس. طلب منها خوليو ألا تشعلها.

- الأمر هو أننى قد أشعلت سيجارة وأصبحت بالخارج. واحتاج أن تبقين أنت هنا حتى أعود.

- ماذا يعنى أنك بالخارج؟

ـ يعنى اننى هنا وبالخارج فى ذات الوقت، كما لو كنت أحدثك وأنا فى يوم الثلاثاء وأنت تجيبيننى وأنت فى يوم الخميس.

ـ ياللخنقة !

ـ من أجل هذا أقول لك ذلك.

بعد أن التزم الصمت عدة ثوان، تحدث خوليو:

ـ عندما انتبهت ابنتك أننى قد دخنت، قالت لى أننى أصبحت فى حالة غريبة،مثلك.

ـ إن ابنتى مأساوية إلى حد ما.

ـ لكنها ذكرتنى بتجربة شخصية، لأن أبوى كانا يدخنان كثيرا، وأنا، عندما كنت اشاهدهما يشعلان سيجارة حشيش، كنت أعرف فى الحال أنهما سيصبحان فى حالة غريبة. ولم تعجبنى هذه الحالة دائما.

ـ هل كانا يسيئان معاملتك أو شىء شبيه بذلك؟

ـ لا، على العكس تماما. كانا يشغلان أفلام كرتون حتى اشاهدهم هم الثلاثة، لكنهما كانا يستمتعان بهذه الأفلام اكثر منى. كانا يموتان من الضحك بسبب أشياء كانت تحدث داخل الأفلام وأنا لم أستطع رؤيتها. كانا يخيفاننى وكذلك الافلام.

ـ هل كان يخيفك أن يضحكا؟

ـ نعم، وإلى الأن تخيفنى الضحكة لحد ما.

ـ والكرتون ؟

ـ لا يعجبنى.

ـ إذن فانت فى غاية الارهاق.

ـ لو لم أكن قد دخنت ما كنت قد حكيت لك شيئا من هذا.

ـ لقد تخدرت بشكل رائع. لم ار فى حياتى مطلقا شيئا مثيلا .هيا، فلنذهب لأعلى.

سار خوليو خلف أماندا للشقة العليا. كانت الطفلة فى غرفتها، راقدة فى سريرها، بنظرة تائهة فى السقف.دخلت أماندا غرفة الحمام، اغلقت ستارة البانيو وفتحت حنفيتى الماء الساخن والبارد وتحسست درجة حرارة الماء بيدها.بعدها نادت للطفلة، التى خرجت من غرفتها ودخلت غرفة الحمام وبدأت تخلع ملابسها. أما خوليو، الذى ظل عند باب الحمام، فكان يحاول الا ينظر ناحية الجانب الاخر حتى تيقن أن لا الطفلة ولا أمها يضايقهما وجوده. كان يشعر أنه داخل فيلم يقوم فيه بدور لا يناسبه، داخل حياة ليست حياته.كسا البخار الناتج عن ماء البانيو مرآة الحمام. وبينما كانت الطفلة تدخل فى البانيو، كانت أمها تجمع ملابسها. أحيانا، كانت تنحل الفوطة التى تلف بها رأسها فى شكل عمامة، فتعود لربطها بعد أن تستوى فى مجلسها.كانت درجة العائلية فى المنظر تبدو أكثر من واقعية، كانت سيريالية.طلبت الطفلة بعض اللعبات التى كانت فى المرحاض الحريمى. تخيل خوليو حياة بهذا الشكل، التى فيها عند حلول الليل يشارك زوجته الواجبات التى يجب أن يفيضا بها على ابنهما. تخيل ايضا حياة رجل وحيد، تلك الحياة التى، بحلول الليل، ينتهى فيها كل شىء، باستثناء برامج التلفاز، ويشعر بدوخة لا تطاق.

- لقد أصبح وجهك شاحبا - قالت أماندا.

- نعم فالوقوف يتعبنى.

- إذن سنترك الآن خوليا تلعب بالماء ونذهب نحن لنعد العشاء.

فى المطبخ، لاحظت زماندا النظافة التى قام بها خوليو واقترحت بدعابة التعاقد معه على تنظيف البيت.

- ليس ضروريا - قال هو - فالتنظيف يعجبنى، يساعدنى على التفكير.

أخرجت أماندا من الديب فريزر سمك فيليه وأعدت السلطة. وعندما تم اعداد العشاء، وبينما كان خوليو يفرش المائدة، صعدت أماندا للشقة العليا وعادت بعد قليل بصحبة الطفلة، التى كانت ترتدى البيجامة.

خلال العشاء، تحدثا عن مستوى تقدم خوليا فى المدرسة، الذى لم يكن مبهرا. تلقت الطفلة نقد أمها بحيادية، وكان يبدو أن امها لا تهتم كثيرا بالأمر. من حين لآخر، كانت خوليا تنظر لخوليو كما لو كانت تحاول أن تعقد معه درجة من المشاركة السابقة، لكنه كان فى حالة من فقدان القوة التى تؤهله لجمع الخيوط التى تمدها له الطفلة. لقد سقط مقيدا داخل ذاته ولم يكن قادرا على أن يعقد مع الواقع أى علاقة غير تلك العلاقة الروتينية.

بعد أن نامت الطفلة، قبلها خوليو وكذلك أمها وهبطا إلى الصالون وجلسا على الكنبة.

- الآن أعتقد أنك تسمح لى أن أدخن سيجارة حشيش - ترجته امانداً.

- كما ترغبين - قال هو مستسلما.

- دخنها معى، سترى أنه لن يحدث شئ.

كان التلفاز، المشتعل بالرغم من أنه صامت، يعرض نشرات إخبارية. أخذت أماندا عدة أنفاس وقدمت السيجارة لخوليو، الذى رفضها.

- من هو أبو خوليا؟ - سأل فى النهاية.

- لا أب لها - قالت أماندا.. لكن لا تعش فى الاوهام، فهى لا تحتاج أبا. ولا أنا أحتاج زوجا.

- أنا لم أعش فى الأوهام - قال هو موافقا هذه المرة على أخذ السيجارة، التى أخذ منها نفسا عميقا.

- سنرى إن كان من الممكن أن أكون أنا وأنت فى يوم واحد من الاسبوع - قالت أماندا عندما رأته يدخن، بابتسامة.

- هل بدت لك سيئة الهدايا التى اهديتها لخوليا؟

- سأجيبك بلا لف ولا دوران ، لكن لا تشعر بالإهانة...

- لن أشعر بالاهانة.

- إن تقديم الهدايا باستمرار هو احد مظاهر السلطة. لقد درست ذلك فى علم النفس. ربما قد لاحظت أننى حساسة جدا أمام مواقف معينة من الرجال. فأنا وخوليا لا نحتاج حماية أحد.

- لم أقصد أن أعطيك انطباعا أننى احميكما.

- لكن هذا هو الانطباع الذى أعطيته لى.

- أنا فى حاجة أولا أن أحمى نفسى.

- هناك رجال يحمون أنفسهم بحماية الآخرين.

- لا أفهم عما تتحدثين.

- إذن فلتأخذ نفسا آخر، فربما تسايرنى فى موجتى - قالت هى بابتسامة لتخفف وطأة كلامها السابق.

دخن خوليو بسلاسة، مندهشا من أن الحشيش لم يسبب له التاثيرات المعتادة غير المحببة إلى نفسه.على العكس، بالرغم من القسوة التى اظهرتها أماندا، شعر بموجة من الطمأنينة تغزوه وبانتقال غير معلوم يأخذه.العالم الآن فى متناول يده.

- انت تقعين منى موقعا حسنا - أكد.

- ماذا اقول لك انا؟

- هذا ما أريد معرفته، ماذا تقولين لى انت؟

- هناك رجال كثيرون، خاصة حديثى الانفصال مثلك، ينظرون لى أنا وابنتى ويعتقدون انهم قد وجدوا عائلة جاهزة، عائلة يمكن شراؤها بثمن بخس لانهم يعتقدون بالطبع اننا نرغب أن يشترونا.لكن تأسيس العائلة شىء فى غاية الصعوبة.انا وابنتى عائلة كاملة، بالرغم من أن ذلك قد لا يبدو.لا تعتقد اننى سأجن أن رتبوا لى اثاث بيتى أو نظفوا لى قيشانى المطبخ، لان ما هو عائلى بالنسبة لى هو الفوضى، اتفهمنى؟

- كل إناء ينضح بما فيه - أجابها خوليو - والشىء الوحيد الذى يمكننى أن انضح به هو قليل من النظام. وليس لدى شىء آخر.

- ومن أين تأتى لك الفكرة المتسلطة للنظام؟

- ومن أين تأتى لك الفكرة المتسلطة للفوضى؟

- أجبنى أنت أولا.

- لا، أنت أولا.

- إذن فلنلعب ملك وكتابة ولتهدينى العملة.

اخرج خوليو عملة، إلقاها فى الهواء واختار الملك. وخرج الملك.

- ابدئى انت - قال وهو يسلم العملة لاماندا، التى احتفظت بها فى جيب البرنس.

- كنت أعرف أننى سأخسر، فانا دائما اخسر - قالت هى.

شعر خوليو انه دخل فى متاهة، لكنه فهم فى الوقت نفسه أن الحياة أصلا مكونة من متاهات، كان اليوم متاهة، والاسبوع متاهة أخرى. الحياة بأكملها ليست إلا تعاقب من المتاهات التى تسمى سنوات. لم يقل شيئا.

- دائما أخسر - الحت هى .. هل انت تفوز دائما؟

- هذا يتوقف على ما نطلق عليه فوز.

- أنا أطلق كلمة الفوز على الفوز.

- وأنا أطلق كلمة الفوز على من فاز بالعملة.

أطلقت أماندا قهقهة، كما لو كانت تكشف له لعبتها. أما هو فقد انتابه شعور من تخطى متاهة.لكنه لم يعرف كيف يتقدم، فعاد لموضوع الهدايا.

- إن ما تفكرين فيه لم يخطر أبدا ببالى، لكننى أعتقد أنك محقة : فالهدايا تعد أحد مظاهر السلطة.لكنها من الممكن أن تكون أشياء أخرى أيضا.

- نعم، نوع من الذل.

- إذن فلا توجد هدية جديرة بالاستحقاق؟

- ربما تكون هى هذه الهدية التى تغير حياتك، التى تجعلك تتحرر ممن أهداها لك.كالثروة الطائلة على سبيل المثال. تعد ايضا ايماءة نبيلة عند إهداء جسدنا لاحد.

- وهل تهدينه كثيرا؟

- انا اؤجره. أهذا ما تود أن تصل اليه؟

- نعم بكل صراحة.

- اذن فها انت قد عرفت. أختك غير الشقيقة تؤجر جسدها.

- كيف وصلت إلى هذا الحال؟

- كانت عملية تدريجية.حاولت أن اكسب معيشتى بالعمل فى التحريات، عملت سكرتيرة، عاملة تلغراف، جرسونة، مديرة، يعنى اننى عملت فى كل شىء، حتى تعرفت على رجل صاحب وكالة شهيرة جدا.يهب اجسادا لهؤلاء الذين يفيض منهم المال، لكن ينقصهم الوقت. تستطيع أن تقرر نوع الرجل الذى لا تستطيع أبدا أن تضاجعه، وهو يحترم ذوق كل امرأة. وأنت لا تقبض، فلا يوجد أى نوع من التجارة المادية مع العميل. وفى نهاية الشهر يقوم هو بعملية تصفية ويخصم عمولته، كأى وكيل للممثلين أو الكتاب. فكل شىء معد بالشكل الذى نبدو فيه ممثلات لا عاهرات.وعادة، ولا اقول ذلك تفاخرا، يختار فقط سيدات من مستوى معين. وأربح من هذا العمل فى خدمتين فى الاسبوع اكثر مما كنت اربحه فى الشهر وانا عاملة تلغراف.

- وهل أمك تعرف هذا؟

- أمى لا تعرف، لكن أباك يعرف.وقد حاول أن يتعاقد معى فى أكثر من مرة، لكننى رفضت.فانا لست منحرفة لهذه الدرجة.

- يا له من عالم ! - قال خوليو.

- لقد أصبحت السيجارة تقع منك موقعا سيئا.

- الامر هو أننى لم أكن اتخيل...

- اذن فلتتخيل، يا ولد، فلتتخيل.لقد اختارت الطبقة الوسطى طريق العهر منذ فترة طويلة.فقد يدهشك عدد النساء اللاتى ينتسبن لعائلات محترمة ويعملن مع وكيلى.ان العهر اصبح كالوشم، قفز من اسوار السجون ليستقر فى أجساد الطبقة الوسطى. ألست موشوما؟

- لا.

- انا موشومة. انظر.

فتحت أماندا البرنس وأرته فخذها من الداخل، حيث كان مرسوما دولفين ملون يسافر فى اتجاه الداخل.

- عندى وشم آخر - أضافت - لكن لتراه يجب أن تدفع.

- وأنا ألا تهدينى جسدك؟

- ولماذا اهديه لك؟ بالعكس، يجب أن تدفع اكثر لانك نصف أخ. إن زنى المحارم صار غاليا جدا.

فى هذه اللحظة، دق هاتفه المحمول، فطلب منها المعذرة ورد.

كانت المستشفى. كانوا يريدون أن يخبروه أن مانويل قد وافته المنية. شكرهم خوليو وانهى المكالمة بلا أى تعليق، حتى يفتح الطريق للخبر ليصل إلى مراكزه العصبية ويقوم بعمله بدون مقاطعة.ولهذا السبب ايضا، استمر فى الحوار السابق كما لو لم يكن قد حدث شىء.

- لكننى لم آخذ ثمنا مقابل رعايتى لابنتك - قال.

- لكنك خالها وقد قمت بذلك حبا فيها - قالت أماندا ساخرة.. على أى حال ادفع لى التعريفة وسنصفى الديون. فأنا حساسة جدا فى مسألة الحقوق المالية.

- لقد كانت دعابة.

- أمتأكد انت حقا أنها كانت دعابة؟

- أنا لست متأكدا من شىء، سوى من أن هذه السيجارة هى اكثر

الأشياء فى حياتى التى وهبتنى الراحة. أو أنها لم تهب لى الشقاء.

- هذا لانك تدخنها معى يا أخى. ولأنهم قد بشروك بخبر سعيد عبر المحمول.

- لماذا تقولين هذا؟

- لاننى لاحظت ذلك، فقد أسرك الخبر، بالرغم من أنك حاولت أن تداريه لانك، أيا كانت الأسباب، لم تصدقه بعد.

التزم خوليو الصمت لبعض ثوان، مستمتعا بجزء من النظام الذى اكتشفه داخل كل هذه الفوضى.ربما كان الشعور الذى انتابه حتى الان كفوضى لم يكن سوى تركيبة جملية بدأت قواعدها تتضح بلا مبرر.ربما، فكر، جاء الوقت الذى فيه يجب الا يبقى خارج النظام العام، حيث العزلة والبرد يشتدان مع مرور السنين.

- أتسمحين لى بالنهوض - قال بنبرة متكلفة .، فأنا قد قضيت اليوم باكمله هنا وأنا أيضا لى حياة يجب أن اسعى وراءها.. فلسوء حظى، ليس لى، كما لك، وكيل ييسر لى أمورى.

- أنا أقدر ذلك - قالت وهى تستوى فى مجلسها كما لو كانت تؤدى طقسا .. إذن ألست مدينة لك بشىء مقابل عنايتك للصغيرة؟

- لا، حقا، اعتبرى ذلك مظهرا من مظاهر السلطة - قال هو مندهشا من نطقه لعبارة ساخرة.

ضحكت أماندا ورافقته حتى الباب، وهناك جعلته ينتظر حتى عادت بكارث وكيلها

- تفضل فربما تحتاج يوما ما لخدماتى - قالت.

- شكرا - أجابها هو.

■■■

أغلق خوليو وراءه باب شقة مانويل وعبر الممر فى اتجاه الغرفة الداخلية، بدون أن يضىء أى نور، حيث كان يجهل إن كانت لاورا قد عادت من العمل أو من حيث تريد أن تعود منذ عاشت بمفردها. وبالرغم من أنه لم يشعر، من خلال النافذة، بأى حركة، إلا أنه هاتف، ليتحقق، الشقة المجاورة، وسمع من خلال الجدران دقات اتصاله بدون أن يرد أحد. حينئذ بدأ يتصرف برشاقة بحيث كانت تبدو كل حركة من حركاته كما لو تدرب عليها ألف مرة. أشعل كمبيوتر مانويل ودخل مباشرة على الرسائل الواردة، فربما يجد أى رسالة جديدة من جانب لاورا. وجد رسالتين متشابهتين فيما بينهما وكثيرتى الشبه بالرسائل السابقة. كانت تحدثه عن تطور الحمل، عن كمية الحديد والكالسيوم التى نصحها الطبيب بتناولها، عن صفات الثوب الذى يجب أن ترتديه فى شهور ما قبل الولادة... لكن، كانت تلح، على وجه الخصوص، فى إحساسها بأنه، مانويل، كان موجودا بطريقة ما. لقد عادت تشم عطره على السلم وقد استمعت من خلال الجدار، خلال الأيام الثلاثة الأخيرة، نوعا من الهمهمة، كما لو كان يحاول أن يستيقظ من حلم مازال مقيدا به. ولو كان كل هذا غير كاف، فقد شعرت بوجود شبحه فى غرفة نومها، حيث تستطيع أن تقسم أن أحدا قد جاء ورتب لها الملاءات وجمع ملابسها قليلا. " هذا الوجود الشبحى، حبى، كان يحمل عطرك أيضا."

خوليو، متقمصا دور مانويل، أجاب على هذه الرسائل بالنص التالى :

"حبيبتى لاورا، ليس غريبا أن تشعرى فى الجو ببعض إماراتى. كان معك حق: فللجسد قوة مستقلة عنه. وبها، زرت خلال الايام الاخيرة هذا العالم الذى انتميت اليه لأودعه، حيث كنت أعلم أن نهايتى قد اقتربت. الحق أن المنية قد وافتنى بالفعل، يا حبيبتى، يا لاورا. لقد أصبحت قوة غير مرئية، كما كنت تظنين أنت أن هذا يحدث للموتى، لكنها قوة حقيقية، مجبرة على القيام برحلة طويلة. لا أستطيع أن أفعل ذلك، لا استطيع أن اذهب كلية من هذا العالم، لو لم أسو المسائل التى أنا المسئول عنها. إن ابنى، إبننا، هو المسألة الرئيسية. سيكون فى حاجة لأب. وبالرغم من انك لن تصدقى ما سأقوله، إلا اننى اعتقد أن هذا الأب يجب أن يكون خوليو. لا تضعى أمام عينيك آرائى السابقة فيه. عندما نتحرر من عبودية الجسد، نرى الأمور بطريقة مختلفة. أتعرفين؟، انا وخوليو، بالرغم من أن ذلك لا يبدو، مرتبطان بشكل غامض برباط التكامل. الحق أنه ليس لديه أفكار مجردة عظيمة، لكنه عبقرى فى الافكار المحددة. لنأخذ بيد ابننا للأمام من الضرورى وجود أفكار، نعم، لكن أيضا من الضرورى وجود أشياء معروفة، ملموسة، عملية. ولا يوجد أحد أفضل من زوجك يستطيع أن يتحمل هذه المهمة. بطريقة ما، يعتبر هذا الجنين الذى تحملينه فى رحمك إبنا لنا نحن الثلاثة، نعم، فهو أيضا ابن لخوليو الذى قام فى علاقتنا بدور يبدو فى ظاهره متواضعا، لكنه دور رئيسى. ولقد قام به على أحسن وجه. وأحيانا، قام هو بتمثيل دوره أفضل منا فى تمثيل دورنا. علينا أن نعترف بذلك كواجب أخلاقى. سيكون أبا طيبا لابننا، ربما يكون مشوشا بعض الشىء ومتسلطا بشكل زائد، لكنك أنت ستقومين هذا الميل ناحية الأشياء الثابتة، أما أنا، فمن حيث تريدين أن أكون، سأرعاكم جميعا. لا تروين له أبدا شيئا عن علاقتنا، ولا تلمحين له باحتمالية ألا يكون الطفل ليس طفله. هاتفيه بعد دفنى، وعودى إليه لأن جزءا هاما جدا منى مكث بداخله. سأحبك دائما وسأرعاك من الحياة الأخرى. مانويل."

قرأ خوليو الرسالة عدة مرات، مشغولا بمعناها، لكن أيضا بفواصل الجمل. كان يبدو له اكذوبة أن تخرج من رأسه فكرة تحرك المشاعر، لأن مشاعره قد تحركت عندما عبر عنها. فى لحظة ما وهو يقرأ النص للمرة الثانية، شعر بشكل غريب ومرعب أن الابن كان ابنه وابن مانويل، وأن لاورا لم تكن سوى الأداة اللازمة ـ الرباط بين ماهو مجرد وماهو محسوس ـ ليستطيع كل منهما أن ينجب.

بعد أن وقع الرسالة وبعثها، مسح من الكمبيوتر المراسلات بين زوجته وجاره. بعدها أغلق الكمبيوتر، وغسل جيدا رقبته ووجهه، ليمحو رائحة عطر مانويل، وبدل ملابس مانويل التى يرتديها وارتدى ملابسه الخاصة، حيث كان قد اعتاد على لبس ملابس جاره. خرج من الشقة بكل حذر ممكن. ركب تاكسيا ليذهب للمستشفى ومن هناك هاتف لاورا على تليفونها المحمول.

ـ لقد مات مانويل ـ قال هو.

ـ لا!

ـ لقد هاتفونى من المستشفى. سأذهب إلى هناك.

بينما كانت السيارة تسير بالشوارع، تذكر مناقشة دارت بينه وبين مانويل حول العلاقات بين الحقيقة والكذب. كان يوما من أيام الشتاء الماضى، عند الخروج من السينما، حيث شاهدا فيلما كان بطله يعيش حياتين، واحدة منهما، وهى الأهم، كانت كاذبة.ولأن خوليو كان يناصر فضائل ماهو واقعى أمام ماهو خيالى، قال له مانويل:

ـ استيقظ من وهمك، أن حياة البشر، سواء فى بعدها الجماعى أو الفردى، مبنية فوق اسطورة، خرافة، إكذوبة فى النهاية.

قال ذلك بنبرة المعلم التى كان يستخدمها لينهى المناقشات التى كانت تطول بشكل زائد عن اللازم أو التى كانت لا تستحق الاهتمام. وعندما كان يخرج هذه النبرة، كان من الأفضل عدم الإلحاح أمامه لأنه بعد ذلك، وخوليو يعرف ذلك، كان يأتى بالادلة القاطعة، الشواهد، التى كان

خوليو يقف أمامها عاجزا عن الصد.

والآن، وبعد أشهر من التأخير، يعطيه خوليو كل الحق. كل شيء كان مبنيا فوق خيال مبتدع، اذا لم يكن فوق سوء فهم بسيط. بالفعل، عندما طلبت منه لاورا أن يعود للبيت، كانت تفعل ذلك وهى على اقتناع تام أنها تحقق رغبة ميت. كان خوليو هو الوحيد الذى يعرف الفرق بين القصة الحقيقية والاسطورة لأنه عادة ما يكون هناك شخص (بشكل عام، مكلف بالادارة)، لسوء حظه، يعرف أكثر من الآخر. ربما، بعد مرور الزمن، تستجيب لاورا للوسواس الذى يدفعها لحكاية القصة لابنها، سرا، فتعلمه من هو أبوه الحقيقى (جار كاتب مات قبل أن تولد) وبأى طريقة غامضة طلب منها أن يخدعا خوليو. وبهذه الطريقة، تنتقل الاسطورة من جيل إلى جيل، على طول القرون، كقصة عائلية.

■■■

هاتفت لاورا خوليو فى اليوم التالى لدفن مانويل. طلبت منه بلا لف ولا دوران أن يعود. قالت له أن خبر الحمل، مصحوبا بحادثة دخول مانويل فى غيبوبة، سبب لها اختلالا من الصعب تفسيره.

- الآن هناك سيدات كثيرات - أضافت - تردن تربية أولادهن بمفردهن، بلا أب. وأنا اعتقدت أننى واحدة منهن، لكننى انتبهت أن الأمر ليس كذلك. اعذرنى.

اندهش خوليو من أنه بالفعل الشر - الكذب - نجم عنه الخير - عودته للبيت -، واقتصر على قبول الاقتراح ونقل اشياءه من الشقة المجاورة فى الوقت الذى كانت هى فيه بالعمل. ولم تسأل لاورا ابدا أين كان يعيش خلال الفترة التى انفصلا فيها.

وبعد شهور، ذات يوم سبت وقت العصر، وبينما كان التلفاز يعرض الاعلانات الاولى لشركة نابيداد وكان خوليو يغير للطفل لفته، هذا الطفل الذى اسموه مانويل لإحياء ذكرى جارهما، دق الهاتف فى هذا البيت الذى يتكون من غرفتين تطلان على ممر. رفعت لاورا السماعة بدون أن تنتظر حتى يدق اربع مرات وتحدثت حديثا قصيرا ومهذبا مع شخص على الجانب الآخر. بعد أن وضعت السماعة، عادت لزوجها.

- كان ابو مانويل. لقد قرر أن يبيع شقة ابنه ويريد أن نكون نحن اول

من نعلم، فربما نريد أن نوسع شقتنا. واتفقت معه على أن أهاتفه.

- فليبع لنا مرآة - قال خوليو.

- ماذا؟ - سألت هى.

- انها دعابة. ما رأيك؟

- لا اعرف. وانت، ما رأيك؟

- اعتقد لا.

- وانا اتفق معك. قالت هى.

وكانت هذه هى الحكاية.

رقم الإيداع : ٢٠٠٧/٣٦٣٢ الترقيم الدولى : 977-08-1290-0

** معرفتي **
www.books4all.net
منتديات سور الأزبكية

مطابع أخبار اليوم

05>
6 222007 800160

Juan Millas

يعدّ خوان خوسيه مياس أحد أبرز الكتاب الأسبان المعاصرين ،، سواء فى كتابة الرواية أو القصة القصيرة أو حتى المقال الصحفى . وذلك يرجع ، بلا شك ، إلى العمق الذى يتميز به والخلط بين المشاعر والفلسفة وبين الواقع والخيال ، والنظرة المنطقية للأشياء حيث البدء بمقدمات تفيض إلى نتائج تبدو بالنظرة المجردة غير مقبولة وبالنظرة العميقة هى حقيقة الحقائق .

هذه ترجمة لآخر ما أصدر من روايات : (لاورا وخوليو) وفيها كل سمات أسلوبه حيث المزج بين ما هو خيالى وما هو واقعى ، لدرجة لا يمكن معها فصل أى منهما عن الآخر . فكرة الرواية فى مجملها ليست جديدة ، فهى باختصار : الثالث الذى يدخل على اثنين آمنين مطمئنين فيعكر عليهما حياتهما ويكشف لهما بؤسهما ويفرق بينهما . ثم ما يلبث القدر أن ينتقم من هذا الدخيل ، وتعود مرة أخرى المياه إلى مجاريها .

لورا و خوليو